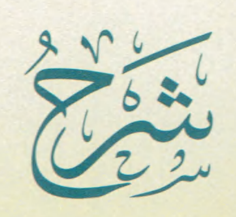


الأربعين في فضائل القرآن

تأليف

وليد بن عثمان الرشودي

تقديم

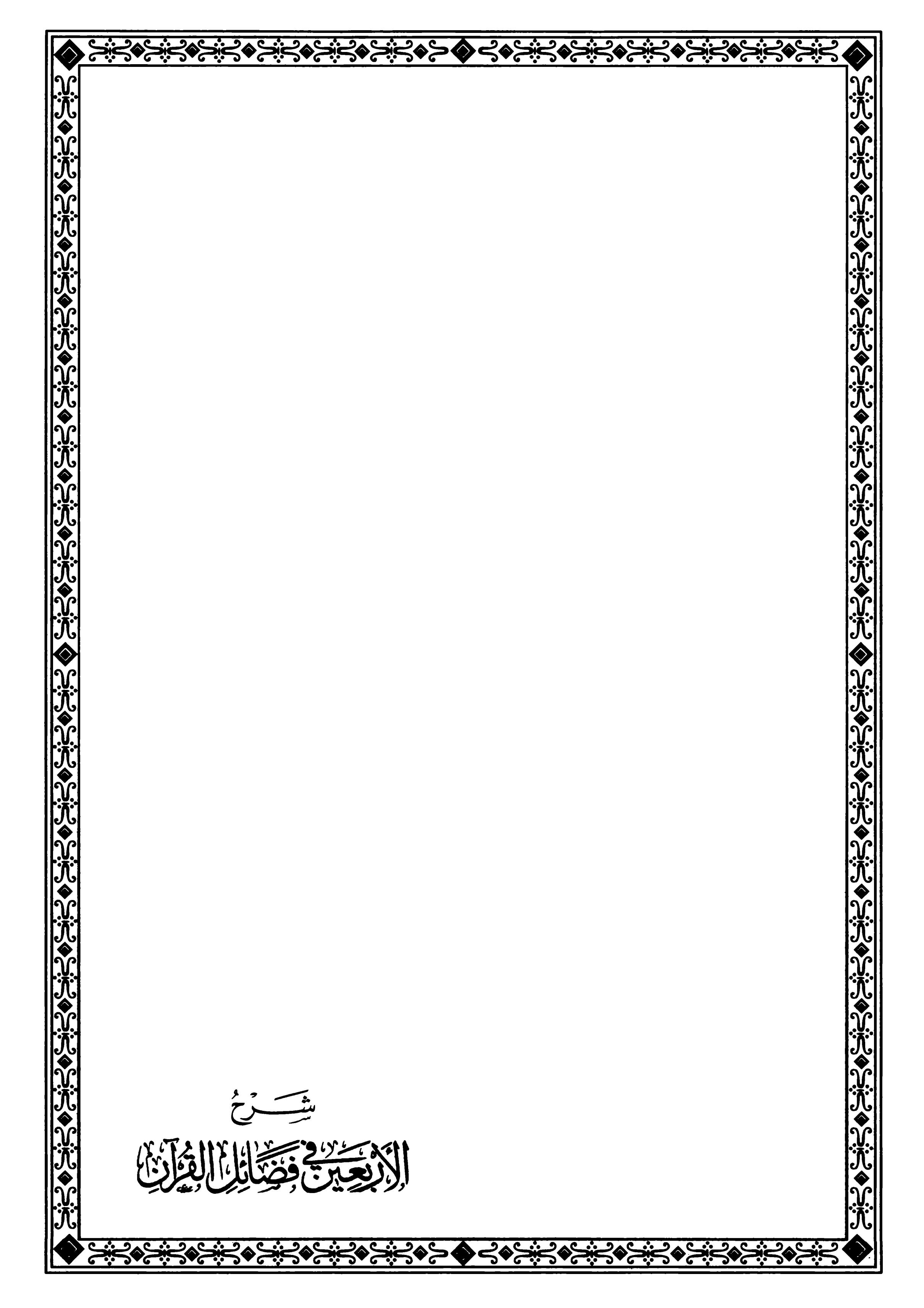
د. ماهر ياسين الفحل

أستاذ الحديث والفقه المقارن

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الأنبار

شيخ دار الحديث العراقية

دار ابن الجوزي



شرح

الأربعين في فضائل القرآن



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:

الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان

ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٩٣

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي : ٤٩٧٣

فاكس: ٨٤١٢١٠٠

الرياض - تلفاكس: ٢١٠٧٢٢٨

جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩

جوّال: ٠٥٩٢٠٤١٣٧١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

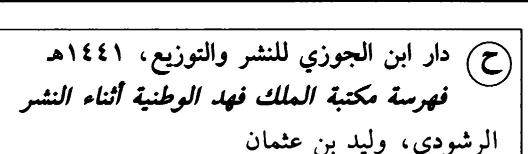
aljawzi@hotmail.com

+966503897671

aljawzi

eljawzi

aljawzi.net



ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرشودي، وليد بن عثمان

شرح الأربعين في فضائل القرآن./وليد بن عثمان الرشودي.- الدمام، ١٤٤١هـ

١٧٦ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٩٧٨ ـ ٦٠٣ ـ ٨٢٧٤ ـ ٨٤ ـ ٢

١ ـ الحديث ـ شرح ٢ ـ فضائل القرآن أ. العنوان

ديوي ٢٣٧,٧ ١٤٤١/٣٣٤٩

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ

الباركود الدولي: 9786038274842



تأليف

وليد بن عثمان الرشودي

تقديم

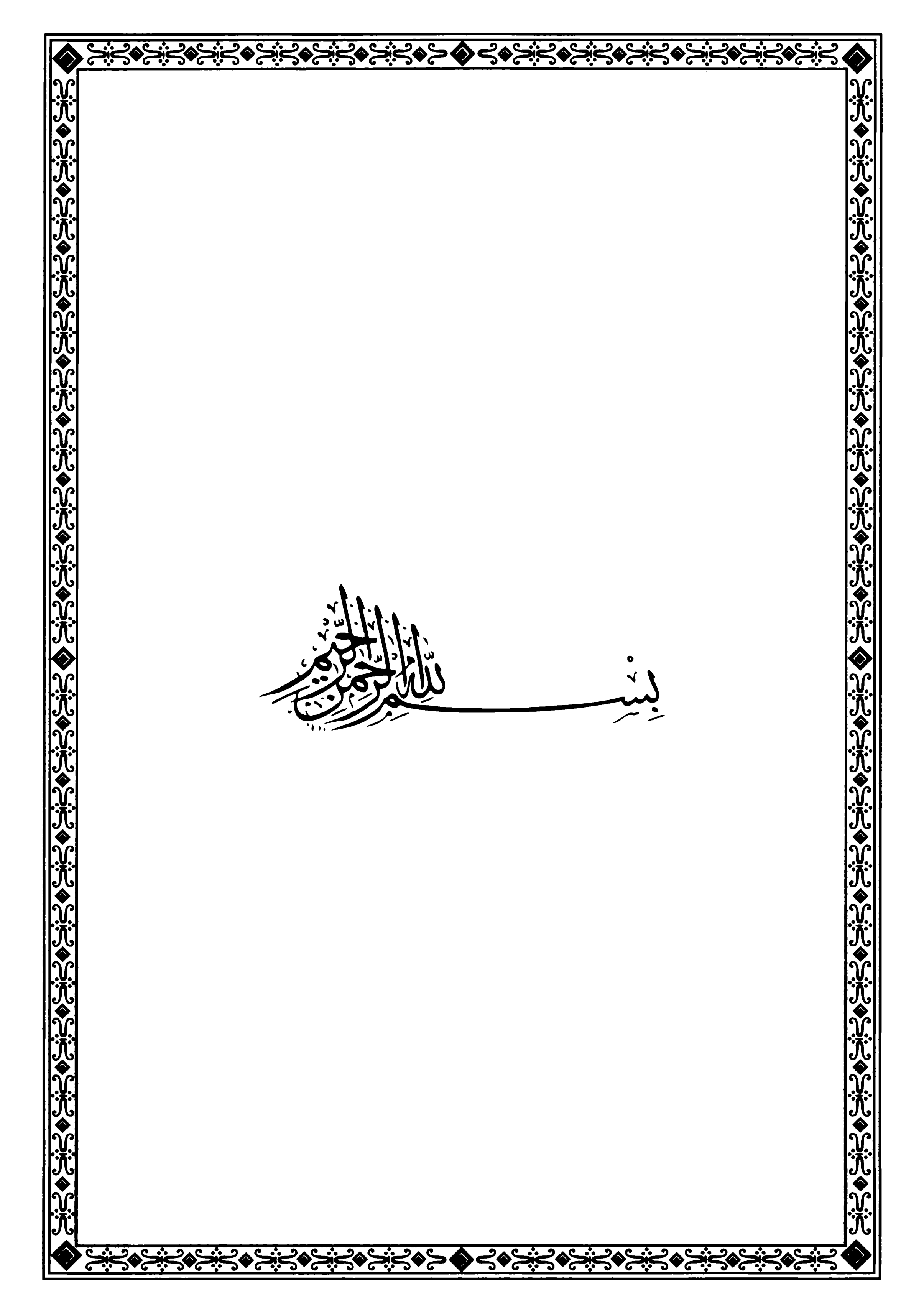
د. ماهر ياسين الفحل

أستاذ الحديث والفقه المقارن

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الأنبار

شيخ دار الحديث العراقية

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد قرأت كتاب «شرح الأربعين في فضائل القرآن» للشيخ الدكتور وليد الرشودي وفقه الله ونضّر وجهه في الدارين، آمين. وقد عرفتُ الشيخ خلال متابعتي لبرنامجه الماتع على قناة المجد وطرحه النفيس، ثم اجتمعت به في حرم الله الآمن حجًّا وعمرةً في مجالس علمية؛ فإذا هو بحرٌ لا تكدره الدلاء، فأسأل الله أن ينفع به المسلمين أجمعين جيلًا إلى جيل، وأن يجعل له لسان صدق في الحاضرين والآخرين، وأسأل الله أن يرحم المسلمين في كل زمان ومكان. وقد قرأت الكتاب قراءة دارس وأفدت منه كثيرًا من الفوائد، وقد أحسن الشرح والنقل والترتيب؛ فأجزل الله له الثواب وأدخله الجنة بغير حساب وجمعنا ووالدينا في الفردوس الأعلى. وهذا الكتاب انتصارٌ للقرآن. والقرآن: هو الكتاب الذي نقله المسلمون بالحرف والصَّوت جيلًا بعد جيل بالسَّند المُتصل، وليس لأُمةٍ من الأُمم - غير أمة الإسلام - سندٌ متصلٌ ولا كتابٌ لم يخلط بغيره من كلام البشر، فالقُرآن لم يخلط بالغير كما خلط اليهود في التَّوراة وحَرَّفوها وخلط النَّصارى فتعددت عندهم النُّسخ.

وإنَّ أَولى وأَعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح فِهم كتاب الله القرآن الكريم؛ لأَنَّ فِهم القرآن الكريم الوسيلة الأَبديَّة إِلى السَّعادة

السَّرمديَّة، وفِهم القرآن هو الطَّريق الصَّحيح لتحصيل المصالح الدينيَّة والدّنيوية، ومن أراد رفعة الدارين فليرتفع بهذا الكتاب الذي رفعه الله فوق كل كتاب.

والقُرآن نَهْلٌ عظيم ترده ولا تستغني عنه وكنز واسع تنتفع به لا ينفد ولا ينضب.

وفي القرآن الكريم ما يتبصَّر به النَّاظر ويتمرن به الخاطر وتنشط به القرائح، وهو يُعرِّف الإِنسان بنفسه وما عليه.

وقد جاء القرآن ليسعد الإنسان في نفسه ويسعده في تعامله مع غيره قال تعالى مخاطبًا موسى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]؛ أَي: يأْخذوا بأحسن ما فيها من الصَّبر والعفو، وفيه الحث على الأَفضل كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] ولذا قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣] أَي: فاستمسك بما أُوحيَ إِليك من الآيات والشَّرائع.

والقرآن الكريم يبين تأْريخ الإِنسان فإِخراج الإِنسان من العدم إِلى الوجود من تفضّله وإِحسانه ﷻ، وإِمدادُهم بالنِّعم من تفضّله مع الحياة وإِدامة الصِّحة والالتذاذ بنعمه، وإِحسانُه وإِرسال الرُّسل، وإِنزال الكتب من تفضّله وإِحسانه، وإِعادة العباد إِلى الحياة بالبعث بعد الموت من تفضّله وإِحسانه؛ ليجازي العاملين بإِحسانهم وينصف المظلومين مِمَّن ظلمهم قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١] وقال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنعام: ١٢] وفي سورة الفاتحة: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾.

على كل إنسان أَن يقرأ كلام الله وأَنْ يسمعه؛ فالقرآن هو رسالة الله

لبني الإِنسان، وقد حثَّ الله على تبليغهِ حتَّى في الحَرب إِن طلب أَحدٌ من غير المُسلمين أَن يسمعه فيعطي الأَمان ليسمعه قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقوله: ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾؛ أَي: طلب الجوار، والجوار: يعني المنع والحماية، وهو لا شك سينتفع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ثُمَّ انظر إِلى أَدب القرآن والإِسلام فقد قال تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]؛ أَي: إِلى المكان الذي يأْمن فيه، وهو أَرضه.

القرآن الكريم يسوق الإِنسان إِلى الرِّبح وعدم الخسارة؛ بل إِنَّ فيه ربح الدُّنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

القرآن الكريم يُبصِّر الإِنسان حقيقة الأَشياء وحقيقة هذه الدُّنيا حتَّى لا تفوته الدُّنيا والآخرة فكما قيل: «لا يدركُ النَّائم أَنَّه يحلم إِلا بعدما يستيقظ، كذلك الغافل عن الآخرة لا يدرك ما ضيَّع إِلا بعد ما يأتيه الموت».

فالقرآن يُنبه الإِنسان ويحذره؛ ليجلب له المصالح، ويدفع عنه الشَّر والضَّرر، فلا غنى للإِنسان عنه.

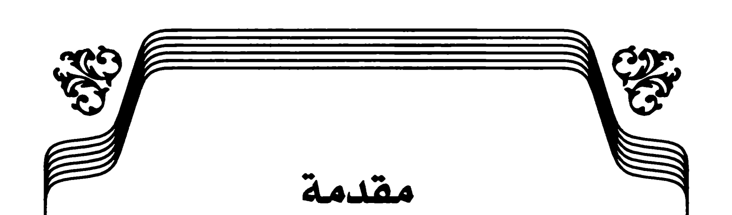
القرآن الكريم يُحذِّرك من عدوك إِبليس الذي هو عدوٌّ متربص، وينهاكَ القرآن عن اتباع خطواته فكما قيل: «المعصية باب مغلق إِن تجرأت على فتحه مرَّة؛ فيسهل عليك فتحة مرَّات، وهي خطوة قد يتبعها خطوات فاحرص على قتل الخُطْوة الأُولى» ولذا تجد أَنَّ هذا المعنى قد تكرر مرارًا في القرآن حتى يحوط الإِنسان نفسه بسياج من الأَمان.

القرآن يعلمك أَفضل العبادة التَّواضع، ومن تواضع في أُموره نال

مراده، والتَّواضع ممَّا امتحن الله به عبادة؛ لينظر كيف طاعتهم في هذه الخصلة العظيمة.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وقارئه وناشره.

د. ماهر ياسين الفحل
شيخ دار الحديث العراقية
٣٠ صفر ١٤٤١



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا فَمَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فقد حرص كثير من علماء السلف والخلف، على جمع «أربعين حديثًا» من أحاديث الرسول ﷺ، فتفننوا في جمعها، حتى تعددت موضوعاتها وتباينت.

وقد صنف العلماء: في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، واختلفت مقاصدهم في تأليفها، وجمعها، وترتيبها.

فمنهم: مَنْ اعتمد على ذكر أحاديث التوحيد، وإثبات الصفات، مثل: الأربعون في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي، والأربعون في صفات رب العالمين للحافظ الذهبي.

ومنهم: مَنْ قصد ذكر أحاديث الأحكام، مثل: الأربعون في الأحكام للحافظ المنذري.

ومنهم: مَنْ اقتصر على ما يتعلق بالعبادات، مثل: الأربعون في العبادات لتلميذ السيوطي: يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني الأرميوني، المصري، الشافعي[١].

ومنهم: مَنْ اختار حديث المواعظ، والرقائق.

ومنهم: مَنْ قصد إخراج ما صح سنده، وسَلم من الطعن.

ومنهم: مَنْ قصد ما علا إسناده.

ومنهم: مَنْ أحب تخريج ما طال متنه، وظهر لسامعه حين يسمعه حُسْنُه.... إلى غير ذلك.

وسمّى كل واحد منهم كتابه: «بكتاب الأربعين»[٢].

*** أمّا عن كتابنا هذا: «شرح الأربعين في فضائل القرآن».**

فهو أربعون حديثًا صحيحة وحسنة مما ورد في فضائل القرآن وأهله وما يتعلق بذلك.

قمنا بانتقائها وذكرها من مصادرها وشرحها بما لا يُخلّ ولا يُملّ، وبيّنا أهم فوائدها وما يستفاد منها مع الاعتناء بدقائق اللطائف والنكت، وذكرنا أهم ما قاله الحفاظ وشرّاح الحديث في معناها.

والمقصود بـ «فضائل القرآن» في بحثنا هذا: (ما جاء من النبي ﷺ في تعلم القرآن وتعليمه عمومًا، أو في حق بعض الآيات والسور من الفضل والثواب والأجر الدنيوي والأخروي)[٣].

---

(١) انظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٣١٣).

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١).

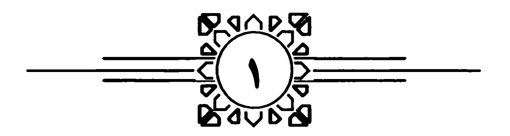
(٣) فضائل القرآن، أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ)، تحقيق: فاروق حمادة، الدار البيضاء: دار الثقافة ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠م، ومن مقدمة د. فاروق حمادة، (ص٧١).

وما يتعلق بالفضائل من فضيلة حفظه وتدبره وتعاهده وتدارسه فكلها تعد فضيلة لكتاب الله ﷻ انبثقت من فضائل القرآن الكريم.

ولا يفوتني في هذه المقدمة أن اعترف بالفضل لأهله وأن أشكر أخي الحبيب الشيخ أحمد سلامة على جهده وبذله وبحثه فجزاه الله خير الجزاء.

ونسأل الله تعالى أن يتقبلها بقبول حسن وأن ينفعنا بها ويجعلنا من أهل القرآن العالمين والعاملين به.





فَضْلُ تَعَلُّمِ القرآن وتَعْلِيمِهِ

✿ عن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

وفي رواية: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ، قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

الشَّرح

تتفاوت درجات العلم ومنازله بحسب الموضوع الذي تتناوله وأشرف العلوم وأجلّها كتاب الله تعالى، فيكون من تَعَلَّمَهُ وعَلَّمَهُ لغيره أشرف ممن تعلّم غير القرآن، وعلّمه.

وقد ورد التأكيد على هذا المعنى في هذا الحديث الصحيح.

قوله: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ):

«يدل أن قراءة القرآن أفضل أعمال البر كلها؛ لأنه لما كان من تعلم القرآن أو علمه أفضل الناس وخيرهم دل ذلك على ما قلناه؛ لأنه إنما وجبت له الخيرية والفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جاريًا ما دام كل من علمه تاليًا»(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٩٢ رقم ٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٢٦٥).

وهذا لأن «خير الكلام كلام الله، فكذلك خير الناس بعد النبيين من يتعلم القرآن، ويعلمه. ولا بد من تقييد التعلم والتعليم بالإخلاص»[(١)].

وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمَّلُ فى أنفسهم المُكَمِّلِينَ لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحدًا ممن أمكنهم أن ينتفع، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، في أصحِّ قولي المفسرين في هذا: هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن، مع نأيهم وبعدهم عنه أيضًا، فجمعوا بين التكذيب والصدِّ، فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكمَّل في نفسه، وأن يسعى في تكْمِيلِ غيره، كما قال ﷺ: **«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»**.

وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]. فجمع بين الدعوة إلى الله، سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى؛ من تعليم القرآن والحديث والفقه، وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحًا، وقال قولًا صالحًا أيضًا، فلا أحد أحسن حالًا من هذا»[(٢)].

وقوله في الرواية الأخرى: (إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ):

«وَذكر فِي الطَّرِيق الْمَاضِي: خَيركُمْ، وَلَا فرق بَينهمَا فِي الْمَعْنى لِأَن قَوْله: خَيركُمْ، تَقْدِيره: أخيركم، وَلَا شكّ أَن أخيرهم هُوَ أفضلهم»[(٣)].

---

(١) شرح المشكاة، للطيبي (٥/ ١٦٣٤).
(٢) انظر: فضائل القرآن، لابن كثير (ص٢٠٦).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ٤٤).

قوله: (وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ، قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا):

«أي: أن الحديث الذي حدث به عثمان في أفضلية من تعلم القرآن وعلمه حمل أبا عبد الرحمٰن أن قعد يعلم الناس القرآن لتحصيل تلك الفضيلة»[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن حبيب السُّلَمِي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم ممن رَغَّبَ في هذا المقام، فقعد يعلِّمُ الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج.

وكان مقدار ذلك الذى مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأثابه، وآتاه ما طلبه ورامه، آمين»[٢].

«والتَّعَلُّم والتعليم يشمل:

التَّعَلُّم اللفظي والمعنوي: فمن حفظ القرآن يعني صار يعلم الناس التلاوة ويحفظهم إياه فهو داخل في التعليم.

وكذلك من تعلم القرآن على هذا الوجه فهو داخل في التعلم.

وبه نعرف فضيلة الحِلَق الموجودة الآن في كثير من البلاد ولله الحمد في المساجد حيث يتعلم الصبيان فيها كلام الله عَزَّوَجَلَّ فمن ساهم فيها بشيء فله أجر ومن أدخل أولاده فيها فله أجر ومن تبرع وعلم فيها فله أجر كلهم داخلون في قوله **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**.

والنوع الثاني: تعليم المعنى يعني تعليم التفسير أن الإنسان يجلس إلى الناس يعلمهم تفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ كيف يفسر القرآن»[٣].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٧٧).
(٢) انظر: فضائل القرآن، لابن كثير (ص٢٠٦).
(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤/ ٦٣٩).

• **من فوائد الحديث:**

١ ـ «**في الحديث** الحث على تعليم القرآن، وقد سئل الثوري عن الجهاد وإقراء القرآن فرجح الثاني»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَتعَلُّم الْقُرْآن وتعليمه يتَنَاوَل تعَلُّم حُرُوفه وَتَعْلِيمهَا وَتَعَلُّم مَعَانِيه وَتَعْلِيمهَا وَهُوَ أشرف قسمي علمه وتعليمه، فَإِن الْمَعْنى هُوَ الْمَقْصُود وَاللَّفْظ وَسِيلَة إليه فتعلم الْمَعْنى وتعليمه تعلم الْغَايَة وَتَعْلِيمهَا وَتعلم اللَّفْظ الْمُجَرّد وتعليمه تعلم الْوَسَائِل وَتَعْلِيمهَا وَبَينهمَا كَمَا بَين الغايات والوسائل»[(٢)].

٢ ـ ترغيب الإسلام في تعلم القرآن وتعليمه وجعل ذلك من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى الله.

٣ ـ تنبيه العالِم إلى نفع غيره بما علمه.

٤ ـ بيان ما كان عليه سلف هذه الأمة من اتباع سُنَّة الرسول ﷺ والعمل بالعلم إذ أن أبا عبد الرحمٰن جلس لإقراء القرآن عملا بهذا الحديث الذي بلغه عن رسول الله ﷺ.

وقبله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه راوي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، فإن من أعظم مناقبه جمع القرآن ليتيسر للناس قراءته وإقراؤه، وكان تاليًا لكتاب الله حتى في آخر لحظاته رضي الله عنه.

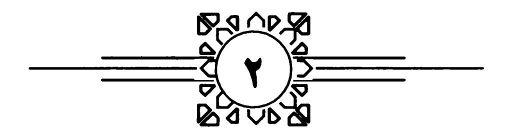
٥ ـ أنّ معرفة الفضائل وثواب الأعمال تُعِين على الحرص عليها والصبر على فعلها والمسارعة إليها، فقد أخبر أبو عبد الرحمٰن أنّ هذا الحديث كان السبب في تعليمه للقرآن.

❁ ❁ ❁

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٧٧).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٧٤).



ثواب مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَاب الله فكيف بمن علَّمَ القرآن كُلَّهُ؟!

۞ عن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ»**[1]

الشَرح

قوله: (مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ):

يحتمل علّم لفظها أو معناها أو هما معًا[2]

قوله: (كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا مَا تُلِيَتْ):

لأن تعليم الناس القرآن العظيم داخل في عموم الدلالة على الخير، وقد قال ﷺ **«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»**[3]

قال النووي رحمه الله: «**فِيهِ:** فَضِيلَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ وَالْمُسَاعَدَةِ لِفَاعِلِهِ.

وفيه: فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لِمَنْ يَعْمَلُ بِهَا مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ وَغَيْرِهِمْ وَالْمُرَادُ بِمِثْلِ أَجْرِ فَاعِلِهِ أَنَّ لَهُ ثَوَابًا بِذَلِكَ الفعل

---

(١) أخرجه أبو سهل القطان في «حديثه عن شيوخه» (٤/ ٢٤٣/ ٢)، وقال الشيخ الألباني: «وهذا إسناد جيد عزيز». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٣٢٣ رقم ١٣٣٥).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٣١٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٦ رقم ١٨٩٣).

كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أَنْ يَكُونَ قَدْرُ ثَوَابِهِمَا سَوَاءً»[١].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ الحث على تعليم القرآن ولو كان آيةً واحدةً.

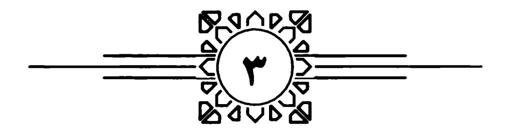
٢ ـ البشارة لمعلمي القرآن بجريان ثوابهم وامتداد آثار تعليمهم، وقد سبق الكلام على فضل ذلك في شرح حديث: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

٣ ـ الترغيب في نشر العلم ولا سيما ما يتعلق بالوحيين.

٤ ـ فضيلة النفع المتعدّي المستمر وأنه استمرار لثواب الإنسان حتى لو مات.



(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٣٩).



تَعَلُّم القرآن وقايةٌ من الشرور والفتن

○ **عن** حُذَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ شَرٍّ نَحْذَرُهُ؟!

قَالَ: **«يَا حُذَيْفَةُ عَلَيْكَ بِكِتَابِ اللهِ فَتَعَلَّمْهُ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ خَيْرًا لَكَ»**.

وفي رواية: «يَا حُذَيْفَةُ، تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ، يَقُولُهَا لِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1].

الشَرح

هذا الحديث من سؤالات حذيفة بن اليمان ﷺ عن الأحداث المستقبلية وما قد يحدث من فتن لكي يَحْذر منها ويتقيها ويُعلم من بعده بها ويُعلم المخرج منها.

وقد ترجم عليه الإمام ابن حبان رحمه الله في صحيحه بقوله: [ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ تَعَلُّمِ كِتَابِ اللهِ وَاتِّبَاعِ مَا فِيهِ عِنْدَ وُقُوعِ الْفِتَنِ خَاصَّةً].

قوله: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ شَرٍّ نَحْذَرُهُ؟).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٣٢٣ رقم ١١٧) باللفظ الأول ـ مختصرًا ـ، (١٣/ ٢٩٨ رقم ٥٩٦٣) وباللفظ الثاني ـ مطولًا ـ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٩). وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، سوى عبد الله بن الصامت؛ فإنه من رجال مسلم».اهـ.

هذا هو سبب سؤاله: (**مِنْ شَرٍّ نَحْذَرُهُ**).

وقد ورد ما يبيّن منهج حذيفة رضي الله عنه في هذا بالتفصيل مع مراجعته للنبي ﷺ وحسن سؤاله، ففي «الصحيحين»: قَالَ أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي!».

فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟

قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**».

قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟

قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**».

قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟

فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**».

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**».

قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟

قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[1].

(١) رواه البخاري (٤/ ١٩٩ رقم ٣٦٠٦)، ومسلم (٣/ ١٤٧٥ رقم ١٨٤٧).

وهذه الوصية في هذا الحديث موافقة لقوله: (يَا حُذَيْفَةُ عَلَيْكَ بِكِتَابِ اللهِ فَتَعَلَّمْهُ، وَاتَّبِعْ مَا فِيهِ خَيْرًا لَكَ).

وفي رواية البيهقي، قال حذيفة: «حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قُلْتُ: نَعَمْ»(١).

فإنّ كتاب الله يدعو للجماعة والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والاحتماء بهما من كل فتنة، والالتجاء إليهما عند كل اختلاف، والتحاكم إليهما في كل كبير وصغير، وكل فُرقة وخصام، حتى يمنع من التعدي والظلم والبغي والاختلاف والتفرق.

فيتحقق درء الفتن وجلب المصالح «بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى هَذَا الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ لِيَكْتَسِبُوا بِاتِّحَادِهِمْ قُوَّةً وَنَمَاءً»(٢).

وكذلك فإن الاعتصام بالكتاب من الاعتصام بالله: كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨].

قال السمعاني: «الِاعْتِصَام بِالله هُوَ التَّمَسُّك بِالْكتاب وَالسُّنَّة»(٣).

وقال الشوكاني: «وَمَعْنَى الِاعْتِصَامِ بِاللهِ: التَّمَسُّكُ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ»(٤).

وفي هذا الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة: نجاة من الفتن، وعصمة من المحن، به توحيد الكلمة، والنجاة من الفرقة، وبه يظهر التآخي الحق، والألفة الصادقة، والتعاون النافع.

فهذه وصية جامعة لمن وعاها واتبعها.

وقد أوصى النبي ﷺ بهذه الوصية حتى موته؛ لعظمها وأهميتها،

---

(١) شعب الإيمان (٣/ ٣٣٨).
(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣١).
(٣) تفسير السمعاني (٣/ ٤٦٠).
(٤) فتح القدير (١/ ٤٢٠).

ففي صحيح مسلم عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى، **هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ**، فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلِمَ كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ؟ ـ أَوْ فَلِمَ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟ ـ، قَالَ: «**أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ ﷻ**»(١).

وقد ترجم الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ على الحديث في أحد المواضع بقوله: [بَابُ الوَصِيَّةِ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ](٢)

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمُرَادُ بِالْوَصِيَّةِ بِكِتَابِ اللهِ حِفْظُهُ حِسًّا وَمَعْنًى فَيُكْرَمُ وَيُصَانُ وَلَا يُسَافِرُ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ فَيَعْمَلُ بِأَوَامِرِهِ وَيَجْتَنِبُ نَوَاهِيهِ ويداوم تِلَاوَته وتعلمه وتعليمه وَنَحوه ذَلِك»(٣)

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ؛ أَيْ: بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ وَمَعْنَاهُ: أَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُعْلَمُ مِنْهُ نَصًّا وَمِنْهَا مَا يَحْصُلُ بِالِاسْتِنْبَاطِ»(٤)

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «وَقَول ابن أَبِي أَوْفَى: أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ؛ أَيْ: بِالتَّمَسُّكِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ وَلَعَلَّهُ أَشَارَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ**»... وَلَعَلَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى الْوَصِيَّةِ بِكِتَابِ اللهِ لِكَوْنِهِ أَعْظَمَ وَأَهَمَّ وَلِأَنَّ فِيهِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ إِمَّا بِطَرِيقِ النَّصِّ وَإِمَّا بِطَرِيقِ الِاسْتِنْبَاطِ فَإِذَا اتَّبَعَ النَّاسُ مَا فِي الْكِتَابِ؛ عَمِلُوا بِكُلِّ مَا أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الْآيَةَ [الحشر: ٧]»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٣ رقم ٢٧٤٠)، ومسلم (٣/ ١٢٥٦ رقم ١٦٣٤).
(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٩١).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٦٧).
(٤) شرح النووي على مسلم (١١/ ٨٨).
(٥) فتح الباري، لابن حجر (٥/ ٣٦١).

فعَلِمَ من ذلك أنّ وصية النبي ﷺ لحذيفة رضي الله عنه بالتمسك بالكتاب وتعلّمه والعمل به، فيها درء كل فتنة، وجلب كل نفع.

● **من فوائد الحديث:**

١ ـ فضل اتباع كتاب الله لمن أراد تحصيل الخير والنجاة من الفتن.

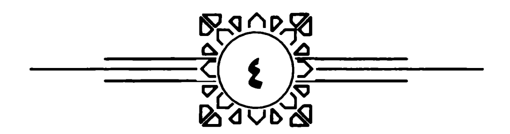
٢ ـ وقَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ رحمه الله: «فِي الْحَدِيثِ حِكْمَةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ كَيْفَ أَقَامَ كُلًّا مِنْهُمْ فِيمَا شَاءَ فَحُبِّبَ إِلَى أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ السُّؤَالُ عَنْ وُجُوهِ الْخَيْر ليعملوا بِهَا وَيُبَلِّغُوهَا غَيْرَهُمْ وَحُبِّبَ لِحُذَيْفَةَ السُّؤَالُ عَنِ الشَّرِّ لِيَجْتَنِبَهُ وَيَكُونَ سَبَبًا فِي دَفْعِهِ عَمَّنْ أَرَادَ اللهُ لَهُ النَّجَاةَ».

٣ ـ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ ذَمُّ مَنْ جَعَلَ لِلدِّينِ أَصْلًا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ[١].

٤ ـ معرفة الخير من الشر تُعين على الثبات عند وقوع الشرور.



(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٣٧).



الأمر بالإخلاص في قراءة القرآن والتحذير من قراءته ابتغاء الدنيا

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، قَالَ: **«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»**(١)

الشَّرْح(٢)

هذا الحديث فيه الأمر بقراءة القرآن بإخلاص وابتغاء وجه الله، وعدم طلب العاجل من أمر الدنيا بتلاوته وإقامة حروفه دون الانتفاع به.

قوله: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ):

المراد بقراءته هنا هي تلاوته المأمور بها، بأن يقرأه لتدبر معانيه ولما أعدّ الله من الأجر لتاليه.

---

(١) أخرجه أحمد ط الرسالة (٢٣/ ١٤٤ رقم ١٤٨٥٥، ١٥٢٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٥٨ رقم ١١٦٧). وقال محققو المسند: «حديث صحيح وهذا إسناد رجاله ثقات غير أسامة بن زيد، فحسن الحديث».اهـ. وأخرجه أبو داود في سننه (١/ ٣٠٧ رقم ٨٣٠) ـ بنحوه ـ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥٢٠ رقم ٢٥٩).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٠٥)، وشرح أبي داود للعيني (٤/ ١٢)، وشرح سنن أبي داود، لابن رسلان (٤/ ٥٨١)، والتيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ١٩٤)، وعون المعبود (٣/ ٤٢)، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٥/ ٢٦٣).

وإن من المصائب العظيمة أن يقرأ الرجل القرآن ثمّ يكون سببًا في عذابه كما في هذا الحديث الذي تنخلع القلوب بالتفكر فيه، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»**(١).

قوله: (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ):

أَيْ: يُصْلِحُونَ أَلْفَاظَهُ وَكَلِمَاتِهِ وَيَتَكَلَّفُونَ فِي مُرَاعَاةِ مَخَارِجِهِ وَصِفَاتِهِ.

(إِقَامَةَ الْقِدْحِ):

أَيْ: السهم، والمقصود: أنّهم يُبَالِغُونَ فِي عَمَلِ الْقِرَاءَةِ كَمَالَ الْمُبَالَغَةِ لِأَجْلِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَالشُّهْرَةِ.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥١٣ رقم ١٩٠٥).

فلَيْسَ الذَّمُّ عَلى مُبَالَغَتِهِمْ فِي مُرَاعَاةِ الْأَمْرِ السَّهْلِ وهو تجويد القراءة؛ بَلِ الذَّمُّ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الْأَمْرِ الْمُهِمِّ وهو الإخلاص وابتغاء وجه الله.

قوله: (يَتَعَجَّلُونَهُ):

أَيْ: ثَوَابَهُ فِي الدُّنْيَا والرفعة، والمراد: يتعجلون أجره في الدنيا، ويطلبون على قراءتهم أجرة من الأعراض الدنيوية، ولا يصبرون إلى الأجر والثواب الذي يحصل لهم في دار الآخرة.

قوله: (وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ).

بِطَلَبِ الْأَجْرِ فِي الْعُقْبَى؛ بَلْ يُؤْثِرُونَ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ وَيَتَأَكَّلُونَ وَلَا يَتَوَكَّلُونَ، فيتخذون القراءة متجرًا لتحصيل حطام الدنيا. والقرآن أُنْزل للتعبد بتلاوته والعمل بأحكامه.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ»**[1].

قَالَ الإمام مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الآجريّ رَحِمَهُ اللهُ: «**[بَابُ أَخْلَاقِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يُرِيدُ بِهِ اللهَ ﷻ] فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَلِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا**، فَإِنَّ مِنْ أَخْلَاقِهِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ، مُضَيِّعًا لِحُدُودِهِ، مُتَعَظِّمًا فِي نَفْسِهِ، مُتَكَبِّرًا عَلَى غَيْرِهِ، قَدِ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بِضَاعَةً، يَتَآكَلُ بِهِ الْأَغْنِيَاءَ، وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ يُعَظِّمُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا وَيُحَقِّرُ الْفُقَرَاءَ، إِنْ عَلَّمَ الْغَنِيَّ رَفَقَ بِهِ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ زَجَرَهُ وَعَنَّفَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا دُنْيَا لَهُ يُطْمَعُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣٢٩٩) برقم: (١٥٧٦٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ١٠١): «وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ».

فِيهَا، يَسْتَخْدِمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ، وَيَتِيهُ بِهِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمُلُوكِ، وَيُصَلِّيَ بِهِمْ؛ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصَّلَاةَ بِهِمْ، ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ لِقِلَّةِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيهِمْ، إِنَّمَا طَلَبُهُ الدُّنْيَا حَيْثُ كَانَتْ، رَبَضَ عِنْدَهَا، يَفْخَرُ عَلَى النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَيَحْتَجُّ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا مَعَهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ، وَزِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْغَرِيبِ مِنَ الْقِرَاءَاتِ، الَّتِي لَوْ عَقَلَ لَعَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقْرَأَ بِهَا فَتَرَاهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا، كَثِيرَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ، يَعِيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ مُتَكَبِّرًا فِي جِلْسَتِهِ، مُتَعَاظِمًا فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ»(١).

● **من فوائد الحديث:**

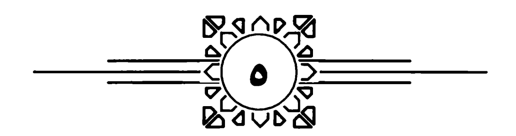
١ ـ الأمر بَتَحَرِّي الْحِسْبَةِ، وَالْإِخْلَاصُ فِي الْعَمَلِ، وَالتَّفْكِيرُ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَالْغَوْصُ فِي عَجَائِبِ أَمْرِهِ.

٢ ـ إخْلاصُ النيِّةِ لله تعالى في قراءة القرآن لأنَّ تِلَاوَةَ القرآنِ من العباداتِ الجَليلةِ، وقد قال الله تعالى ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢].

٣ ـ ذمّ الذين يقيمون حروف القرآن ولا يقيمون حدوده ولا يعملون به.



(١) أخلاق حملة القرآن (ص٨٧).



أقسام الناس تجاه تَعَلُّم القرآن

✿ عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ، وَرَجُلٌ يَقْرَؤُهُ للهِ ﷻ»(١)

الشَّرح

قوله: (تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا):

هذا أمر بتعلم القرآن لوجه الله تعالى وليس لغرض من أغراض الدنيا.

أي: يطلب أجر التلاوة من ربه تعالى أو يسأله به كل حاجة.

وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ: فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ مَا شَاءَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا مِنَ النَّاسِ، أَوِ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ فَلْيَسْأَلْهَا مِنَ اللهِ تَعَالَى أَوْ بِآيَةِ عُقُوبَةٍ فَيَتَعَوَّذُ إِلَيْهِ بِهَا مِنْهَا، وَإِمَّا بِأَنْ يَدْعُوَ اللهَ عَقِيبَ الْقِرَاءَةِ بِالْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَإِصْلَاحِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلّام في فضائل القرآن (ص٢٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٨/٤ رقم ٢٣٨٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥١٩ رقم ٢٥٨).

(٢) مرقاة المفاتيح (١٥١٣/٤).

قوله: (فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ):

(رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ) هذا هو المرائي بقراءته **وقد ورد فيه وعيد شديد:**

فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ[1]: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟**

قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[2].

وقوله: (وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ):

أي: يجعل القرآن وسيلة إلى طلب ما عندهم فيريد به الدنيا من العباد وبئس المراد، والمراد منه!

---

(١) قال النووي: «وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: فَقَالَ لَهُ نَاتِلٌ الشَّامِيُّ، هُوَ بِالنُّونِ فِي أَوَّلِهِ وَبَعْدَ الْأَلِفِ تَاءٌ مُثَنَّاةٌ فَوْقُ وَهُوَ نَاتِلُ بْنُ قَيْسٍ الْحِزَامِيُّ الشَّامِيُّ مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ وَهُوَ تَابِعِيٌّ وَكَانَ أَبُوهُ صَحَابِيًّا وَكَانَ نَاتِلٌ كَبِيرَ قَوْمِهِ» شرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٠).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥١٣ رقم ١٩٠٥).

فما لهذا أنزل القرآن وهذا يشمل من يقرأه في المواقف وأبواب المساجد لينال من السامعين شيئًا من الدنيا[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ رَفَعَهُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ**» الْحَدِيثَ وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: سَيَجِيءُ زَمَانٌ يُسْأَلُ فِيهِ بِالْقُرْآنِ فَإِذَا سألوكم فَلَا تعطوهم»[(٢)].

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: «يَا أَصْحَابَ الْقُرْآنِ لَا تَتَّخِذُوهُ بِضَاعَةً تَلْتَمِسُوا بِهِ الشِّفَّ فِي الدُّنْيَا - يَعْنِي: الرِّبْحَ - وَاطْلُبُوا الدُّنْيَا بِالدُّنْيَا، وَالْآخِرَةَ بِالْآخِرَةِ»[(٣)].

قوله: (وَرَجُلٌ يَقْرَؤُهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ):

فهذا له أجره عند ربه، وهو من خير الناس وأفضلهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

روى الطبري عن قتادة قال: «كان مطرف إذا مر بهذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ﴾ يقول: هذه آية القراء»[(٤)].

• من فوائد الحديث:

١ - قال الشيخ ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد دل الحديث على ذم

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٣٦٢).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ١٠١).
(٣) مختصر قيام الليل (ص١٨٠).
(٤) تفسير الطبري ت شاكر (٢٠/ ٤٦٤).

المباهي بتلاوته، وكثيرًا ما يقصد قُرّاء زماننا المباهاة بأصواتهم والفخر بحفظهم، ولا سيما إذا كانوا يتلون مجتمعين بصوت واحد، فليحذر من يجد هذا من نفسه وليعلم أن كتاب الله هداية تخشع لها القلوب، وتستسلم الجوارح.

٢ ـ ودل أيضًا: **على ذم المسترزق بالقرآن**، وكثير من قراء زماننا لا يقصدون من حفظه إلا التوسل به للتلاوة على الموتى بأجرة ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة.

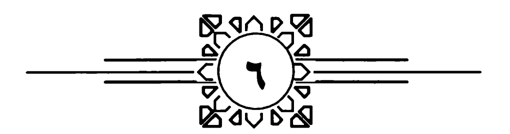
٣ ـ ولا يتناول هذا الذم من يأخذ الأجرة على تعليم القرآن إذا كانت في مقابلة تعبه، وشغل وقته، ولم يتخذ تعليمه صناعة من الصناعات المادية المحضة؛ بل على هذا المعلم ـ إن أراد السلامة من ذلك الذم ـ أن يكون هو نفسه عاملًا بكتاب الله، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلى العمل به»[1].

٤ ـ ودلّ على وجوب الإخلاص في طلب العلم، وقراءة القرآن، وكذلك سائر العبادات، ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وتعلم العلم من أعظم العبادات وأهمها، فيجب فيها النية والإخلاص.

اللَّهُمَّ ارزقنا الإخلاص في الأعمال كلها، وطهر قلوبنا من الرياء والسمعة، وجميع ما ينافي العبودية برحمتك يا أرحم الراحمين.



(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص٢٠٦).



فضل تدبُّر القرآن وذَمٌّ من قرأه بغير تدبر لمعانيه ولا تأمل في أحكامه

۞ عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشُرْبِهِمُ اللَّبَنَ**»(١).

الشَّرح

هذا الحديث من باب الإخبار بما سيأتي فهو من نبوءات الرسول ﷺ.

قوله: (سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشُرْبِهِمُ اللَّبَنَ):

أي: يسلقونه بألسنتهم من غير تدبر لمعانيه ولا تأمل في أحكامه؛ بل يمر على ألسنتهم كما يمر اللبن المشروب عليها بسرعة(٢).

وهذا ذمٌّ لهم، فالمقصود من القرآن هو التدبر والعمل وإقامة الحدود وليس الحروف فقط، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) أخرجه الفريابي في فضائل القرآن (ص٢٠٤) وعنده بلفظ: «كَشُرْبِهِمُ الْمَاءَ»، والمستغفري في فضائل القرآن (١/ ١٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٩٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع (١/ ٦٨١ رقم ٣٦٥٣).

(٢) انظر: فيض القدير (٤/ ١١٨)، والتيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٦٣)، والتنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٤٢٧).

وأمّا سيما أهل الانحراف فهي إقامة الحروف وهجر العمل والاحتكام والتدبر لكتاب الله تعالى كما ورد في صفة الخوارج؛ فعن زَيْد بْن وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ**[1] **يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**[2].

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلَى عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذَا الْحَرْفَ؟ أَلِفًا تَجِدُهُ أَمْ يَاءً (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)، أَوْ (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ)؟

قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وَكُلَّ الْقُرْآنِ قَدْ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هَذَا؟!

قَالَ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ!

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ»[3].

وهذا الانتفاع يكون بالامتثال لقوله سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فَالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّم هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ وَالْمَطْلُوبُ الْأَهَمُّ وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢].

---

(١) **«تَرَاقِيهِمْ»**: جَمْع تَرْقُوَة بِفَتْحِ أَوَّله وَسُكُون الرَّاء وَضَمّ الْقَاف وَفَتْح الْوَاو وَهِيَ الْعَظْم الَّذِي بَيْن نُقْرَة النَّحْر وَالْعَاتِق، وَالْمَعْنَى أَنَّ قِرَاءَتهمْ لَا يَرْفَعهَا الله وَلَا يَقْبَلهَا»، الفتح (١٢/٢٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢/٧٤٨ رقم ١٠٦٦).

(٣) رواه مسلم (١/٥٦٣ رقم ٨٢٢).

وَصِفَةُ ذَلِكَ: أَنْ يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِالتَّفْكِيرِ فِي مَعْنَى مَا يَلْفِظُ بِهِ فَيَعْرِفُ مَعْنَى كُلِّ آيَةٍ وَيَتَأَمَّلُ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ وَيَعْتَقِدُ قَبُولَ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ مِمَّا قَصَّرَ عَنْهُ فِيمَا مَضَى اعْتَذَرَ وَاسْتَغْفَرَ وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ اسْتَبْشَرَ وَسَأَلَ أَوْ عَذَابٍ أَشْفَقَ وَتَعَوَّذَ أَوْ تَنْزِيهٍ نَزَّهَ وَعَظَّمَ أَوْ دُعَاءٍ تَضَرَّعَ وَطَلَبَ[(١)].

- **من فوائد الحديث:**

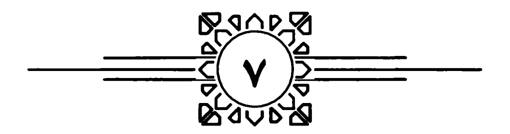
١ ـ ذم من لم يتدبر القرآن ويعمل به.

٢ ـ المقصود الأعظم من القرآن هو العمل به وإقامة حدوده وليس مجرد التلاوة.

نسأل الله أن ينفعنا بالقرآن ويجعلنا من أهل التدبر والاتباع لحكمه ووصاياه والانقياد لنوره والظفر بعطاياه.



(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦٨).



فَضْلُ القرآن وأنّ الله يَرْفَعُ بِهِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ

✿ **عن** عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي.

فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟

قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟

قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷿، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»**(١).

الشَّرْح

في هذا الحديث بيان رفع الله ذِكْرَ من تمسك بهذا الكتاب العزيز واتبع ما جاء فيه، ووعد الله لا يتخلف، فكل من أقبل على كتاب الله وتمسك به: عِلْمًا وعملًا؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة.

وفي قصة عمر ﵁ مع نافع بن الحارث ﵁ تطبيق عمليٌّ وبرهان صادق على قول النبي ﷺ.

قابل عمر ﵁ نافع بن عبد الحارث فسأله: **«مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟»**؛ يعني: مكة.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٩ رقم ٨١٧).

(فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ عُمَرُ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا).

وابن أبزى المذكور، قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عنه: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبْزَى الخُزَاعِيُّ، **لَهُ: صُحْبَةٌ، وَرِوَايَةٌ، وَفِقْهٌ، وَعِلْمٌ.**

وَهُوَ مَوْلَى نَافِعِ بنِ عَبْدِ الحَارِثِ، كَانَ نَافِعٌ مَوْلاَهُ اسْتَنَابَهُ عَلَى مَكَّةَ حِيْنَ تَلَقَّى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى عُسْفَانَ...

حَدَّثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيْضًا عَنْ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، وَعَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ.

حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنَاهُ؛ عَبْدُ اللهِ وَسَعِيْدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بنُ مَرْثَدٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيْعِيُّ، وَآخَرُوْنَ. سَكَنَ الكُوْفَةَ.

وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: ابْنُ أَبْزَى مِمَّنْ رَفَعَهُ اللهُ بِالقُرْآنِ.

قُلْتُ: عَاشَ إِلَى سَنَةِ نَيِّفٍ وَسَبْعِيْنَ - فِيْمَا يَظْهَرُ لِي -»[1]

وقد أثبت له الصحبة، كبار الحفاظ:

قال المزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَال البُخارِيُّ: لهُ صُحبَةٌ، وذكره غير واحد فِي الصحابة.

وَقَال أَبُو حَاتِم: أدرك النَّبِيّ ﷺ، وصلى خلفه...»[2]

قوله: (قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ):

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣/ ٢٠٢).

(٢) تاريخ البخاري الكبير: الترجمة (٨٠٠)، والجرح والتعديل: الترجمة (٩٨٥)، وسؤالات البرقاني للدارقطني: الترجمة (١٨٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٦/ ٥٠٢)، وجامع التحصيل (ص٢٢٠).

ذكر ﷺ سبب استخلافه لمولاه ابن أبزى ﷺ وهو: أنه عالم بكتاب الله وفقيه بالفرائض.

فقَالَ عُمَرُ: (**أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**):

أَيْ: بِالْإِيمَانِ بِهِ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، **وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ**: الْقُرْآنُ الْبَالِغُ فِي الشَّرَفِ وَظُهُورِ الْبُرْهَانِ مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغْهُ غَيْرُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

(**أَقْوَامًا**)، وهم الحافظون له والعاملون به، فيرفع جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِأَنْ يُحْيِيَهُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا وَيَجْعَلَهُمْ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الْعُقْبَى.

وهذا كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى شَرَفِ الْقُرْآنِ، وَمُحَرِّضًا لَهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ قَدْرِهِ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: شَرَفُكم»(١)

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ: خُذْ بِالْقُرْآنِ الْمُنَزَّلِ عَلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، وَمَا يَهْدِي إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الْمُفْضِي إِلَى صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوصِلِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالْخَيْرِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قِيلَ: **مَعْنَاهُ لَشَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**،

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٣٣٤).

قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَلَمْ يَحْكِ سِوَاهُ»(١).

فبيّن سبحانه أن هذا الكتاب هو رفعة لهذه الأمة، وشرف لها ولمن تمسك به وعُلُو شأن لهم.

فـ «من عمل بهذا القرآن تصديقًا بأخباره، وتنفيذًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه واهتداءً بهديه، وتخلقًا بما جاء به من أخلاق ـ وكلها أخلاق فاضلة ـ فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا والآخرة؛ وذلك لأن هذا القرآن هو أصل العلم ومنبع العلم وكل العلم وقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

فيرفع الله به أقوامًا في جنات النعيم ويقال للقارئ: اقرأ ورتل واصعد وله إلى منتهى قراءته صعود في الجنة إن شاء الله»(٢).

قوله: (وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ):

«يعني: يحقّر ويصغّر في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب تركه، والجهل به، وترك العمل به»(٣).

وهؤلاء «هم من لم يؤمن به أو من آمن ولم يعمل به»(٤).

ممن «كَانُوا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ مِنْ مَرَاتِبِ الْكَامِلِينَ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] فَهُوَ مَاءٌ لِلْمَحْبُوبِينَ دِمَاءٌ لِلْمَحْجُوبِينَ، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٢٢٩).
(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤/ ٦٤٦).
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٤٦).
(٤) السراج المنير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٠).

قَالَ الطِّيبِيُّ: فَمَنْ قَرَأَهُ وَعَمِلَ بِهِ مُخْلِصًا رَفَعَهُ اللهُ، وَمَنْ قَرَأَهُ مُرَائِيًا غَيْرَ عَامِلٍ بِهِ وَضَعَهُ اللهُ[1].

ومن صفات هؤلاء الخاسرين الذين يضعهم الله ويذلهم أنهم: «قوم يقرؤونه ويحسنون قراءته **لكنهم يستكبرون عنه** ـ والعياذ بالله ـ لا يصدقون بأخباره ولا يعملون بأحكامه؛ يستكبرون عنه عملًا، ويجحدونه خبرًا!.

إذا جاءهم شيء من القرآن كقصص الأنبياء السابقين أو غيرهم أو عن اليوم الآخر أو ما أشبه ذلك؛ صاروا ـ والعياذ بالله ـ يشككون في ذلك ولا يؤمنون؛ بل ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]!

مرتابون وربما يصل بهم الحال إلى الجحد مع أنهم يقرءون القرآن!

وفي الأحكام يستكبرون لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه!

هؤلاء يضعهم الله في الدنيا والآخرة ولا بد أن يكون أمرهم خسارًا، حتى لو فرض أن الدنيا دانت لهم وتزخرفت فإن مآلهم إلى الخسار والعياذ بالله، ولكن ربما يمهل لهم ويملي لهم وتنفتح عليهم الدنيا ولكنهم كلما انفتح عليهم شيء من زهرة الدنيا؛ فإنهم لا يزدادون به إلا خسارًا ـ والعياذ بالله ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠].

يعني: ربما يمهل الله ﷻ للكافر الجاحد المستكبر!

وتزدان له الدنيا؛ لكنه لا يزيده ذلك إلا خسارًا، وإنما في الآخرة

---

(١) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢١٨)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١٥٠)، والمفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٦٧)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٧)، وشرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ١٣)، والتنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٣٩٩)، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣/ ٦٢٨).

والعياذ بالله فالحذر الحذر أن تكون من القسم الثاني الذين يضعهم الله بهذا القرآن!

كن من القسم الأول الذين يرفعهم الله بالقرآن جعلنا الله وإياكم منهم»[١].

- **ومن أعظم فوائد هذا الحديث:**

أنّ القرآن يرفع من لم يرفعه نسبه إذا صانه صاحبه، وهكذا يرفع الله بهذا الكتاب أقوامًا.

وأنّ من لم يصن كتاب الله، وأساء إليه؛ فإنه لا ينفعه نسبه مهما كان حسيبًا، وهكذا يخفض الله به آخرين!

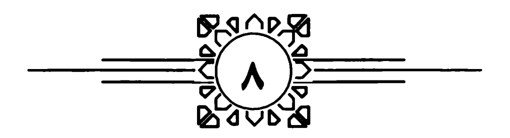
وكم من الموالي رفعهم الإسلام بالقرآن والعلم فوق أولى الحسب والنسب والجاه، وكم من ذوي الحسب والجاه القديم صاروا في الدرك الأسفل من النار لعنادهم كتاب الله.

عَلَيْكَ بتَقْوَى الله في كُلِّ حَالَةٍ وَلَا تَترُكِ التَّقوَى اتكالًا عَلَى النَّسَبْ
فقد رَفعَ الإِسلامُ سلمان فارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الْكُفْرُ الشَّرِيف أبا لهَبْ

نفعنا الله بالقرآن وأعاننا على حفظه وتلاوته وتدبره والعمل بما فيه.



(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤/ ٦٤٧).



فضل الاعتصام بالقرآن ونجاة أهله وعصمتهم من الهلاك والضلال

✪ عن أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟».

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»(١)

الشَّرح

قوله: (أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟).

البشرى أول خبر سارّ، يعنى: سُرُّوا بالأجر والثواب على هذا التوحيد والإقرار بالنبوة والرسالة، وَبِمَا يجازى بِهِ الْمُسلمُونَ وَمَا تصير إِلَيْهِ عاقبتهم.

قوله: (فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٣٢٩ رقم ١٢٢)، وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده (١/ ١٧٥ رقم ٤٨٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٤٦١ رقم ٣٠٦٢٨)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٨ رقم ٤٩١)، وقال الألباني: صحيح، الصحيحة (٧١٣).

السَّبَبِ، هُوَ الحَبْل الَّذِي يُتوصَّل بِهِ إِلَى الماءِ، ثُمَّ استُعِير لكلِّ مَا يُتوصَّل بِهِ إِلَى شَيءٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ) أَيِ الوُصل والمودَّاتُ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عَوف بْنِ مَالِكٍ «أَنَّهُ رَأَى فِي المَنام كَأَنَّ سَبَبًا دُلَى مِنَ السَّمَاءِ»؛ أَيْ: حَبْلًا.

وَقِيلَ لَا يُسَمى الحبْل سَبَبًا حَتَّى يَكُونَ أحدُ طَرَفيه معلَّقًا بالسَّقْف أَوْ نَحْوَهُ[١].

فالْحَبْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْعَهْدِ وَعَلَى الْأَمَانِ وَعَلَى الْوَصْلَةِ وَعَلَى السَّبَبِ، **وَأَصْلُهُ** مِنَ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ الْحَبْلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ لِاسْتِمْسَاكِهِمْ بِالْحَبْلِ عِنْدَ شَدَائِدِ أُمُورِهِمْ وَيُوصِلُونَ بِهَا الْمُتَفَرِّقَ فَاسْتُعِيرَ اسْمُ الْحَبْلِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ[٢].

والمعنى: أنّ هذا القرآن حبل يرتقى به ويعتصم به ويهتدى به، فهو الوصلة التي يوثق عليها فيستمسك بها من أراد الرقي والعروج إلى معارج القدس وجوار الحق، فالتمسك بالقرآن هو السبب الموصل إلى الله الذي في السماء سلطانه.

والْوَسِيلَةُ الْقَوِيَّةُ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَسَعَادَةِ قُرْبِهِ كما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله: (فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا):

والتمسّك به: هو الِاعْتِصَامُ بِعَهْدِهِ إِيمَانًا وَحِفْظًا وَعِلْمًا وَعَمَلًا وَإِخْلَاصًا، وَهُوَ اتِّبَاعُ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَحُدُودِهِ وَالتَّأَدُّبِ بِأَدَبِهِ.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٢٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١١).

فيتوصل به إلى الخروج من الفتن والبعد عن الضلال والكفر.

وهذا المعنى هو المذكور في حديث مسلم وفيه: «**أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ**، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»(١).

فالقرآن حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه الآخر بيد المؤمن فمن استمسك به فتعلم وعمل وعلم مخلصًا لله، متبعًا لهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ؛ لم يضل أبدًا حتى يلقى الله فهذه بشارة من النبي ﷺ لمن حفظ كتاب الله وعمل به نسأل الله أن يجعلنا منهم.

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ منزلة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

٢ ـ استحباب التبشير بفضائل الأعمال وبما يسر المسلم مما يحبه الله ورسوله ﷺ.

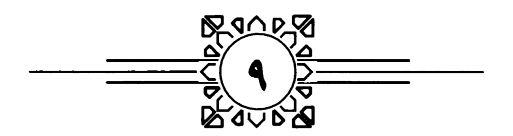
٣ ـ فضل التمسك بكتاب الله وأنه أعظم صلة بين الأرض والسماء.

٤ ـ من أعظم أسباب الاستقامة؛ التمسك بكتاب الله.

٥ ـ من أعظم أسباب الضلال؛ الابتعاد عن التمسك بكتاب الله وترك الاعتصام به.



(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٤ رقم ٢٤٠٨).



فضل الاعتصام بالقرآن والسُّنَّة معًا دون تفريق

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنِّي قَد تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَن تَضِلُّواْ بَعْدَهُمَا: كِتَابَ الله، وَسُنَّتِي وَلَن يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَاْ عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[1].

الشَرح

قوله: (إِنِّي قَد تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَن تَضِلُّواْ بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي):

هذا بيان لأعظم أسباب العصمة من الضلال وهو: التمسك والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، فالاعتصام بالكتاب والسُّنَّة طريق الفلاح، والعصمة والنجاح، فيه الهداية في الدنيا والنعيم في الأخرى، فيه الطمأنينة والسكينة، والرحمة والفضل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ۝١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝١٧٥﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

(١) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك (ص١٥٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢ رقم ٣١٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٥) والدارقطني في سننه (٥/ ٤٤٠ رقم ٤٦٠٦) والبزار في مسنده (١٥/ ٣٨٥ رقم ٨٩٩٣)، وصححه الألبانيّ.

﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: «وتمسكوا بالنور المبين الذي أنزله إلى نبيه»(١).

(لَن تَضِلُّواْ بَعْدَهُمَا)؛ أي: إذا تمسكتم واعتصمتم بهما.

وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

«والاعْتِصَامُ: التّمسّك بالشيء، قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾»(٢).

قال ابن القيم: «وَالِاعْتِصَامُ افْتِعَالٌ مِنَ الْعِصْمَةِ، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِمَا يَعْصِمُكَ، وَيَمْنَعُكَ مِنَ الْمَحْذُورِ وَالْمَخُوفِ، فَالْعِصْمَةُ: الْحِمْيَةُ، وَالِاعْتِصَامُ: الِاحْتِمَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقِلَاعُ: الْعَوَاصِمَ، لِمَنْعِهَا وَحِمَايَتِهَا»(٣).

والمراد بالاعتصام بالكتاب والسُّنَّة: التمسك والاحتماء بهما من كل فتنة، والالتجاء إليهما عند كل اختلاف، والتحاكم إليهما في كل كبير وصغير، وكل فُرقة وخصام، حتى يمنع من التعدي والظلم والبغي والاختلاف والتفرق.

فيتحقق الاعتصام «بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى هَذَا الدِّينِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ لِيَكْتَسِبُوا بِاتِّحَادِهِمْ قُوَّةً وَنَمَاءً»(٤).

وكذلك فإن الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة من الاعتصام بالله: كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

---

(١) الطبري (٩/ ٤٢٩).
(٢) المفردات (ص٥٦٩).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٥٦).
(٤) التحرير والتنوير (٤/ ٣١).

قال السمعاني: «الِاعْتِصَام بِالله هُوَ التَّمَسُّك بِالْكتاب وَالسُّنَّة»[(١)]

وقال الشوكاني: «وَمَعْنَى الِاعْتِصَامِ بِاللهِ: التَّمَسُّكُ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ»[(٢)]

وفي هذا الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة: نجاة من الفتن، وعصمة من المحن، به توحيد الكلمة، والنجاة من الفِرقة، وبه يظهر التآخي الحق، والألفة الصادقة، والتعاون النافع.

وقد جعل سبحانه الرحمة والنجاة لمن تمسك بوحيه المبين، وتوعد بالخزي والشقاء من أعرض عن كتابه الكريم، وهدي سيد المرسلين: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ...»[(٣)].

وأمّا من ترك التمسك بالوحي؛ فإنه يضلّ ويتلون، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ثبات أهل الاعتصام والتمسك بالوحي، وتقلب أهل التميع والتسيب والتفلت فقال: «تَجِدُ أَهْلَ الْكَلَامِ أَكْثَرَ النَّاسِ انْتِقَالًا مِنْ قَوْلٍ إِلَى قَوْلٍ وَجَزْمًا بِالْقَوْلِ فِي مَوْضِعٍ وَجَزْمًا بِنَقِيضِهِ وَتَكْفِيرِ قَائِلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَهَذَا دَلِيلُ عَدَمِ الْيَقِينِ.

فَإِنَّ الْإِيمَانَ كَمَا قَالَ فِيهِ قَيْصَرُ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ عَمَّنْ أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سَخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ٤٦٠).

(٢) فتح القدير (١/ ٤٢٠).

(٣) رواه الدارمي (٣٣١٥).

أَحَدٌ». وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ».

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَلَا صَالِحِ عَامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ عَنْ قَوْلِهِ وَاعْتِقَادِهِ، بَلْ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ امْتُحِنُوا بِأَنْوَاعِ الْمِحَنِ، وَفُتِنُوا بِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ وَهَذِهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأُخْدُودِ وَنَحْوِهِمْ وَكَسَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْأَئِمَّةِ... وَبِالْجُمْلَةِ: فَالثَّبَاتُ وَالِاسْتِقْرَارُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ أَضْعَافِ مَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْفَلْسَفَةِ»[١].

وقوله: (وَلَن يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ):

فهما الأصلان اللَّذَان لَا عدُول عَنْهُمَا وَلَا هدى إِلَّا بهما والعصمة والنجاة فِي التَّمَسُّك بهما فوجوب الرُّجُوع للْكتاب وَالسُّنَّة مَعْلُوم من الدّين بِالضَّرُورَةِ[٢].

كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ولا يوجد بعد بعثة النبي ﷺ مصدر صالح للاهتداء به، ويجب اتباعه إلى قيام الساعة، إلا القرآن والسُّنَّة، فلا مصدر ولا أساس للهداية والسعادة في الدنيا والآخرة إلا الوحي المتلو وغير المتلو.

فالوحي المتلو: كلام الله وكتابه العزيز، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ

---

(١) الفتاوى (٤/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٤٤٧).

﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، محفوظ من الخطأ والزلل، والزيادة والنقص، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾.

وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، أنزله على رسوله هداية للعالمين، ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: ١].

وليكون الحكم بين الناس: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]؛ أي: موضَّحًا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكمًا ولا أقوم قيلاً[1].

والوحي غير المتلو: سُنّة الرسول ﷺ: أقواله وأفعاله وإقراره، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٢ ـ ٤] فهو ﷺ راشد غير ضال، مهتدٍ غير غاوٍ، لا يقول إلا صدقًا، ولا يفعل إلا حقًّا، ولا يقرر إلا عدلًا.

وسُنته هي الحكمة التي أنزلها الله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

قال الشافعي: «فذَكَرَ اللهُ الكتابَ وهو القرآنُ، وذكر الحكمةَ، فسمعتُ من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سُنّة رسول الله ﷺ»[2] فالقرآن الكريم كلامه سبحانه، والسُّنَّة النبوية بيانه

(١) انظر: تفسير السعدي (١/ ٢٧٠).
(٢) الرسالة (ص٧٨).

ووحيه إلى رسوله ﷺ، والاعتصام بهما وعدم التفريق في الأخذ بينهما هو الدين الحق.

فرسالة القرآن والسُّنَّة «ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ فَأَيُّ صَلَاحٍ لِلْعَالَمِ إِذَا عَدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ؟

وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ مَلْعُونَةٌ إِلَّا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ مَا لَمْ تُشْرِقْ فِي قَلْبِهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ وَيَنَالُهُ مِنْ حَيَاتِهَا وَرُوحِهَا فَهُوَ فِي ظُلْمَةٍ؛ وَهُوَ مِنَ الْأَمْوَاتِ»(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في قوله: **(وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)**:

«فَلَا يَجُوزُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا وَيَرُدُّ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، بَلْ سُكُوتُهُ عَمَّا نَطَقَ بِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَحَدًا أَنْ يَطَّرِدَ ذَلِكَ وَلَا الَّذِينَ أَصَّلُوا هَذَا الْأَصْلَ، بَلْ قَدْ نَقَضُوهُ فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مَوْضِعٍ مِنْهَا مَا هُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ.

وَالسُّنَّةُ مَعَ الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ فَيَكُونُ تَوَارُدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى الْحُكْمِ الْوَاحِدِ مِنْ بَابِ تَوَارُدِ الْأَدِلَّةِ وَتَظَافُرِهَا.

الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ بَيَانًا لِمَا أُرِيدَ بِالْقُرْآنِ وَتَفْسِيرًا لَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ مُوجِبَةً لِحُكْمٍ سَكَتَ الْقُرْآنُ عَنْ إِيجَابِهِ أَوْ مُحَرِّمَةً لِمَا سَكَتَ عَنْ تَحْرِيمِهِ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ، فَلَا تُعَارِضُ الْقُرْآنَ بِوَجْهٍ مَا، فَمَا كَانَ مِنْهَا زَائِدًا عَلَى الْقُرْآنِ فَهُوَ تَشْرِيعٌ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (١٩/ ٩٣).

مُبْتَدَأً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ: تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ، وَلَا تَحِلُّ مَعْصِيَتُهُ، وَلَيْسَ هَذَا تَقْدِيمًا لَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ؛ بَلْ امْتِثَالٌ لِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُطَاعُ فِي هَذَا الْقِسْمِ لَمْ يَكُنْ لِطَاعَتِهِ مَعْنًى، وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ الْمُخْتَصَّةُ بِهِ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ تَجِبْ طَاعَتُهُ إِلَّا فِيمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ لَا فِيمَا زَادَ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَاعَةٌ خَاصَّةٌ تَخْتَصُّ بِهِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَقْبَلَ حَدِيثًا زَائِدًا عَلَى كِتَابِ اللهِ...» إلخ كلامه رَحِمَهُ اللهُ وفيه أمثلة كثيرة على هذا القسم الثالث للسُّنَّة مع القرآن[1].

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيْدُ نَجَاتَهُ	اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانِ
كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا	بِالْوَحْيِ لا بِزَخَارِفِ الْهَذَيَانِ
وانْصُرْ كِتَابَ اللهِ والسُنَنَ التِي	جَاءَتْ عن الْمَبْعُوْثِ بالْقُرآنِ
واضْرِبْ بسَيْفِ الوَحْيِ كُلَّ مُعَطِّلٍ	ضَربَ الْمُجَاهِدِ فَوقَ كُلِّ بَنَانِ
واحْمِلْ بِعَزْمِ الصِدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ	مُتَجَرِدٍ لِللهِ غَيْرَ جَبَانِ
واثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحتَ أَلْوِيَةِ الهُدَى	فإِذَا أُصِبْتَ فَفِيْ رِضَا الرَّحْمنِ
واجْعَلْ كِتَابَ اللهِ والسُّنَنَ التِي	ثَبَتَتْ سَلَاحَكَ ثُمَّ صِحْ بِجَنَانِ
مَن ذَا يُبَارِزُ فَلْيُقَدِّمْ نَفْسَهُ	أَوْ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي المَيْدَانِ...
واصْدَعْ بمَا قَالَ الرَّسُوْلُ ولَا تَخَفْ	مِن قِلَّةِ الأَنْصَارِ والأَعْوَانِ
فَاللَّهُ نَاصِرُ دِيْنِهِ وَكِتَابِهِ	واللَّهَ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانِ[2]

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٢٠).

(٢) نونية ابن القيم، الكافية الشافية (ص١٦).

● **من فوائد الحديث:**

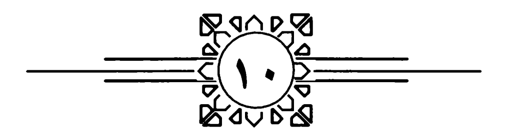
١ ـ أنّ الهُدَى كلَّ الهُدَى في اتّباعِ كتابِ الله، واتّباعِ سُنَّةِ رسولِهِ، فهي المُبَيِّنَةُ مرادَ كتابِ الله تعالى.

٢ ـ وجوب الرُّجُوع للْكتاب وَالسُّنَّة والاهتداء بهما في كل شؤون الحياة.

٣ ـ حفظ الكتاب والسُّنَّة حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها مهما حاول المُشَكِّكون والضالون التلاعب بهما.

٤ ـ فيه ردٌّ على فرقة القرآنيين الضالة التي تزعم التمسك بالقرآن وترك السُّنَّة وتشكك فيها.





الترغيب في اتِّبَاعِ القرآن: بتحليل حلاله وتحريم حرامه

✿ عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ وَهُوَ مَرْعُوبٌ، فَقَالَ: «**أَطِيعُونِي مَا كُنْتُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، أَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ**»(١).

الشَّرح

قوله: (**أَطِيعُونِي مَا كُنْتُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ**):

أي مدة كوني بينكم حيًّا فإني لا آمر ولا أنهى إلا بما أمر الله ونهى عنه؛ لأن دعوتي إنما هي لطاعة الله فطاعتي طاعة الله.

ومن خصائصه أن الله فرض طاعته على العالم فرضًا مطلقًا لا شرط فيه ولا استثناء ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

قولُه: (مَا كُنْتُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ):

بيّن هذا المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه من غير نظر فيه ولا عرضه على الكتاب؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ويخاطب كل قوم وشخص بما يليق بالحال والمكان والزمان.

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ١٩٢)، وتمام في فوائده (١/ ٢٩٧ رقم ٧٤٨)، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١/ ١٧٠): «أخرجه الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٥٨ رقم ١٤٧٢).

وأما بعده فيجب عند التعارض ونحوه النظر الصحيح والجمع بين النصوص وينظر في الترجيح.

قوله: (وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، أَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ):

أي: الزموه ثم بيَّن وجه لزومه على طريق الاستئناف بقوله: «**أَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ**»؛ يعني: ما أحله افعلوه جازمين بحله وما حرمه دعوه ولا تقربوه(١).

وقد سبق الكلام على الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة والتمسك بهما في عدة أحاديث سابقة.

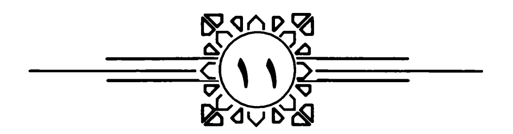
فائدة:

من لطائف إسناد هذا الحديث أنه من رواية أربعة من الصحابة بعضهم عن بعض، وهم:

نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ﷺ أجمعين..



(١) انظر: فيض القدير (١/ ٥٤٨).



الترغيب في كثرة قراءة القرآن وثواب من قرأ حرفًا من القرآن

✪ عن مُحَمَّد بْن كَعْبٍ القُرَظِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[1].

الشَّرح

ورد هذا الحديث لبيان فضيلة قراءة القرآن وبيان ثواب القاريء لكتاب الله تعالى؛ فكل من قرأ القرآن قراءة صحيحة، يبتغي بها وجه الله، فهو موعود بهذا الثواب العظيم، سواء قرأه للحفظ، أو للمراجعة، أو للاستشهاد والاستدلال به، أو غير ذلك.

وهذا للحث على قراءة القرآن والانشغال به والمسارعة إليه لرفع الدرجات.

قوله: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ):

المقصود بالحرف في هذا الحديث أحد حروف الهجاء، وليس الكلمة ـ كما سيأتي في الحديث نفسه ـ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥ رقم ٢٩١٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٩٧٠ رقم ٣٣٢٧).

وقال القاري: «ظَاهِرُهُ أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي الْحِسَابِ الْحُرُوفُ الْمَكْتُوبَةُ لَا الْمَلْفُوظَةُ»[١].

قوله: (فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا):

أي: بكل حرف يقرؤه يُعطى حسنةً، وتكون الْحَسَنَةُ مُضَاعَفَةً بِالْعَشْرِ، كما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ.

قوله: (لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ):

في هذا زيادة تأكيد لمعنى الحرف المقصود حتى لا يظن الظانّ أن (الم) حرف واحد؛ بل (**أَلِفٌ حَرْفٌ**) وعلى قراءته عشر حسنات، و(**وَلَامٌ حَرْفٌ**) وعلى قراءته عشر حسنات، و(**وَمِيمٌ حَرْفٌ**) وعلى قراءته عشر حسنات.

فيحصل بكل حرف عشرُ حسنات، وعلى هذا القياس من جميع القرآن[٢].

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ فضل الله على الأمة بهذا القرآن الذي هو منبع الخيرات والحسنات.

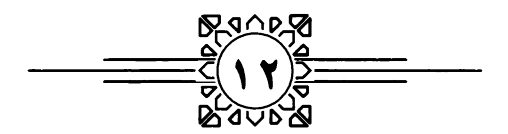
٢ ـ بيان كرم الله وتفضُّلِه على قارئ القرآن ومضاعفته لليسير من العمل.

٣ ـ البيان بالمثال في التعليم يكون أدعى للفهم وإزالة اللبس ويوضّح المعنى المراد.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٧١).

(٢) شرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ٣٢).



شفاعة القرآن لأهله وعقوبة الإعراض عنه

❁ عن جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْقُرْآن شَافِع مُشَفع، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**» رواه ابن حبان[1].

الشَّرح

قوله: (**الْقُرْآن شَافِع مُشَفع**):

قال الراغب: «الشَّفَاعَةُ: الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى واسْتَشْفَعْتُ بفلان على فلان فَتَشَفَّعَ لي، وشَفَّعَهُ: أجاب شفاعته، ومنه قوله ﵇: «**القرآن شَافِعٌ مُشَفَّعٌ**»[2].

والمعنى: أنّ القرآن مقبول الشفاعة في قارئه والعامل به.

---

(١) أخرجه ابن حبان (١/ ٣٣٢ رقم ١٢٤) وليس في هذه الطبعة بتحقيق شعيب الأرنؤوط لفظ «شَافِع» وإنما هي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص٤٤٣)، (٦/ ٢٠ رقم ١٧٩٣) ت حسين أسد، وهكذا أورده المنذري في الترغيب (٢/ ٢٢٧)، وفي صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٢/ ١٩٤ رقم ١٧٩٣)، وأخرجه بمثله أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٨٩ رقم ١٨٥٥)، وصححه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣١ رقم ٢٠١٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٤٥٧).

قوله: (وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ):

(**وَمَاحِلٌ**)؛ أي: مخاصم، والمراد: أنه مخاصم لمن تركه وأعرض عنه.

وقال المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي ساعٍ، وَقيل: خصم مجادل»[1].

(**مُصَدَّقٌ**) عليه عند الله في خصامه.

قوله: (مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ):

فاهتدى بهديه، واقْتدى بِهِ بِالْتِزَام مَا فِيهِ من الْأَحْكَام، لِأَنَّهُ القانون الَّذِي تستند إِلَيْهِ السُّنَّة وَالْإِجْمَاع وَالْقِيَاس، فَمن لم يَجعله إمَامه فقد بنى على غير أساس.

قوله: (وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ):

وذلك بإهماله وإضاعته، فمن أعرض عنه وقع في العذاب.

قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ، وَلَا يَتْبَعُكُمُ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ زَجَّ فِي قَفَاهُ، فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ»[2].

وقد وردت أحاديث كثيرة في شفاعة القرآن:

ومنها: قول رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»[3].

ومنها: قوله ﷺ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ قَالَ فَيُشَفَّعَانِ**»[4].

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٢٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٨).

(٣) رواه مسلم (١/ ٥٥٣ رقم ٨٠٤).

(٤) رواه أحمد (٦٥٨٩) صححه الألباني.

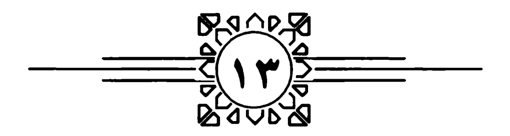
● **من فوائد الحديث:**

١ ـ أنّ القرآن أحد الشفعاء الذين تقبل شفاعتهم يوم القيامة.

٢ ـ وفيه: الحث على الاعتناء بالقرآن لتحصيل هذا الثواب الجزيل.

٣ ـ بيان عاقبة من أعرض عن القرآن ولم يهتد بهديه ويتبعه.





ثواب القرآن لا يضاهيه شيء من أعراض الدنيا

✿ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ».

وفي رواية: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُنَّ»[1]

الشَّرح

في هذا الحديث أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَرْغِيبَهُمْ فِي الْبَاقِيَاتِ وهي: ثواب القرآن وَتَزْهِيدَهُمْ عَنِ الْفَانِيَاتِ فَذِكْرُهُ للإبل في هَذَا هو عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّقْرِيبِ وَإِلَّا فَجَمِيعُ الدُّنْيَا أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُقَابَلَ بِمَعْرِفَةِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى أَوْ بِثَوَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى.

قوله: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ أَنْ يَجِدَ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ سِمَانٍ؟):

وزاد في رواية مسلم: (**أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟**):

وقد بدأ الحديث بالسؤال حتى يهيأ أذهانهم ويُشوقها لهذا الترغيب ويستثير هِمَمهم بطرح هذا السؤال.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٢ رقم ٨٠٢) واللفظ الأول له، والدارمي (ص٧٥٧ رقم ٣٦٣٣) واللفظ الثاني له.

والخَلِفَاتُ: هي الْحَوَامِل من الْإِبِل إِلَى أَن يمْضِي عَلَيْهَا نصف أمدها ثمَّ هِيَ عشار والواحدة: عشراء وخلفة.

وخَصَّ الخَلِفات لأنها محبوبات عند العرب، ولأن إيراد الحكم بالمثال أرسخ وأوقع في النفس.

قوله: (قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله):

يعني: نحب ذلك، فلا يكره أحد هذه العطية فهِيَ مِنْ أَعَزِّ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، لا سيما وهي حامل وسمينة وعظيمة.

قوله: (فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُنَّ):

أَيْ: فَاعْلَمُوا أَنَّ قِرَاءَةَ ثَلَاثِ آيَاتٍ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ. وكلما زاد عدد الآيات المقروءة؛ زاد فضلها.

ففي صحيح مسلم[1] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ»**؟، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **«أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»**.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه: «يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَمُرُّ بِالْآيَةِ فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: خُذْهَا فَوَاللهِ لَهِيَ خَيْرٌ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ»[2].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ تحبيب الطاعة للنفس وتنشيطها بحيث يصطحب العقل والخيال

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٥٢ رقم ٨٠٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٣).

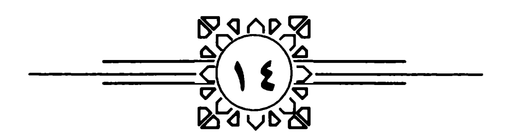
على إيثار طاعة الله تعالى وتستلذ النفس والجوارح بها أعظم من استلذاذها بالسعي في الحظوظ الدنيوية، وإلا فالحرف الواحد من القرآن والتسبيحة الواحدة خير من ملك الدنيا بحذافيرها.

٢ ـ الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه، وخاطبهم على ما تعارفوه، فإنهم أهل إبل، وإلَّا فأقلّ جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها؛ لأن هذا من الباقيات الصالحات، وتلك من الزائلات الفانيات(١)

٣ ـ البدء بالسؤال عند ذكر الأمر المهم لاسترعاء الانتباه والتشويق وتهيئة النفس للقبول بنشاط



(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦٨)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٢٩)، وشرح السيوطي على مسلم (٢/ ٣٩٩)، وشرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٦٣٤)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٥٤)، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٤١٦)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٠/ ١٤٨).



الترغيب في تحسين الصوت بالقرآن لزيادة حسنه

○ عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا»**(١)

الشَّرح

هذا الحديث فيه ترغيب لأصحاب الأصوات الحسنة للاعتناء بالقرآن وتلاوته، وكذلك لغيرهم بالاجتهاد في تحسين أصواتهم عند تلاوة القرآن لا سيما أئمة المساجد والذين يُقرِئون القرآن.

وقد بيّن النبي ﷺ سبب الأمر بتحسين الصوت وهو أنّ الصوت الحسن يُظهر بهاء القرآن وجماله وحُسنه، وهذا له الأثر في التأثر به واتباعه.

وهذا الحديث معناه كما في قوله ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» رواه النسائي(٢).

وفي صحيح البخاري: [بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ] وأورد فيه حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: **«يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ**

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (٤/ ٢١٩٤ رقم ٣٥٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٤٥).

(٢) رواه النسائي (٢/ ١٧٩ رقم ١٠١٥) وصححه ابن حبان (٣/ ٢٥ رقم ٧٤٩)، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد» فضائل القرآن، لابن كثير (ص١٩٠)

أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[١].

ومطابقته للتَّرْجَمَة من حَيْثُ إِن رَاوِي الحَدِيث، وَهُوَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ، كَانَ حسن الصَّوْت جدًّا. وَلِهَذَا قَالَ لَهُ ﷺ: «**لقد أُوتيت مِزْمَارًا**»؛ أَي: صَوتًا حسنًا، وَأَصله الْآلَة أطلق اسْمهَا على الصَّوْت الْحسن للمشابهة بَينهمَا[٢].

قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: هَذَا بَاب فِي بَيَان مطلوبية حسن الصَّوْت بالقراءة وَقيل: الْإِجْمَاع على اسْتِحْبَاب سَماع الْقُرْآن من ذِي الصَّوْت الْحسن: وَأخرج ابْن أبي دَاوُد من طَرِيق أبي مسجعة، قَالَ: كَانَ عمر، رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ، يقدم الشَّاب الْحسن الصَّوْت لحسن صَوته بَين يَدي الْقَوْم»[٣].

فقوله: (حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ):

معناه: تزيين القرآن بالصوت، وَجودَةِ الْأَدَاءِ؛ فَهذا فِيهِ بَعْثٌ لِلْقُلُوبِ لِاسْتِمَاعِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ.

وفي مسائل صالح للإمام أحمد رحمهم الله: «قال صالح: قلت: قوله: «**زينوا القرآن بأصواتكم**» ما معناه؟.

قال أبي: التزيين: أن يحسنه»[٤].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: بالمد والترتيل ليس التطرب الفاحش الذي يخرج إلى حد الغناء»[٥].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٩٥ رقم ٥٠٤٨).
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ٥٦).
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/ ٥٥).
(٤) مسائل صالح (٢٨٧).
(٥) التوضيح، لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٥٥٠).

وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أنه يستحب تحسين الصوت بالقراءة.

وحكى النووي الإجماع عليه؛ لكونه أوقع في القلب، وأشد تأثيرًا وأرقّ لسامعه فإن لم يكن القارئ حسن الصوت فليحسنه ما استطاع ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حُسنًا بذلك، وهذا إذا لم يخرج عن التجويد المعتبر عند أهل القراءات فإن خرج عنها؛ لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء»[1].

قال السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ بِتَحْسِينِ أَصْوَاتِكُمْ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ فَإِنَّ الْكَلَامَ الْحَسَنَ يَزِيدُ حُسْنًا وَزِينَةً بِالصَّوْتِ الْحَسَنِ وَهَذَا مُشَاهَدٌ»[2].

وهكذا فهم السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم من هذه الأحاديث أنّ المراد: تحسين الصوت به وتحزينه، كما قاله الأئمة رحمهم الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتَّخَشُّع به**، كما رواه الحافظ الكبير بَقِيُّ بن مَخْلَدِ رَحِمَهُ اللَّهُ... عن أبى موسى قال: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «**يا أبا موسى، لو رأيتنى وأنا أستمع قراءتك البارحة**» قلت: أما والله لو علمت آنك تسمع قراءتى، لحبَّرتُها لك تحبيرًا. ورواه مسلم.

والغرض أن أبا موسى قال: لو أعلم أنك تسمعه لحبَّرتُه لك تحبيرًا؛ فدَلَّ على جواز تعاطي ذلك وتكلفه، وقد كان أبو موسى كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: قد أُعْطي صوتًا حسنًا، كما سأذكره إن شاء الله، مع خشية تامة وَرِقة أهل اليمن الموصوفة، فدلَّ على أن هذا من الأمور الشرعية.

---

(١) إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري (٧/ ٤٨١).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٤٠٤)، وحديث البراء رواه الدارمي والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة (٧٧١).

وعن عائشة قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: «**أين كنت؟**» قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى أستمع له، ثم التفت إلي فقال: «**هذا سالم مولى أبى حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا**» إسناده جيد.

وفى «الصحيحين» عن جبير بن مطعم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى المغرب بالطُّور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا أو قراءة منه».

وفي بعض ألفاظه: فلما سمعته قرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥] خِلْتُ أن فؤادي قد انصدع.

وكان جبير لمَّا سمع هذا بعد مشركًا على دين قومه، وإنما كان قَدِمَ في فداء الأسارى بعد بدر، **وناهيك بِمَنْ تؤَثِّرُ قراءته في المشرك** المصر على الكفر، فكان هذا سبب هدايته، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب.

كما قال أبو عبيد: عن طاوس قال: أحسن الناس صوتًا بالقرآن أخشاهم لله.

والغرض: أن المطلوب شرعًا، إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تَدَبُّرِ القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة.

فأما الأصوات بالنغمات المحدثة، المركبة على الأوزان، والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنَزَّه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب.

وقد جاءت السُّنَّةُ بالزجر عن ذلك... وهذا يدلُّ على أنه محذور كبير، وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء، وقد نصَّ الأئمة ـ رحمهم الله ـ على النهي عنه، فأما إن خرج به إلى التمطيط

الفاحش، الذي يزيد بسببه حرفًا أو ينقص حرفًا، فقد اتفق العلماء على تحريمه، والله أعلم»[(١)].

- **ومن فوائد الحديث:**

١ ـ **أنّ الثواب يحصل على اللذة إذا كانت مشروعة**، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالله قد خلق الصَّوْت الْحسن وَجعل النُّفُوس تحبه وتلتذ بِهِ فَإِذا استعنا بذلك فِي اسْتِمَاع مَا أمرنا باستماعه وَهُوَ كِتَابه وَفِي تَحْسِين الصَّوْت بِهِ كَمَا أمرنَا بذلك حَيْثُ قَالَ: «**زَينُوا الْقُرْآن بأصواتكم**» وكما كَانَ يفعل أَصْحَابه بِحَضْرَتِهِ مثل أبي مُوسَى وَغَيره **كُنَّا قد استعملنا النِّعْمَة فِي الطَّاعَة وَكَانَ هَذَا حسنًا مَأْمُورًا بِهِ** كَمَا كَانَ عمر بن الْخطاب يَقُول لأبي مُوسَى: يَا أَبَا مُوسَى ذكرنَا رَبنَا فَيقْرَأ وهم يَسْتَمِعُون وَكَانَ أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ إِذا اجْتَمعُوا أمروا وَاحِدًا مِنْهُم أَن يقْرَأ وَالْبَاقِي يَسْتَمِعُون.

فَهَذَا كَانَ استماعهم وَفِي مثل هَذَا السماع كَانُوا يستعملون الصَّوْت الْحسن **ويجعلون التذاذهم بالصوت الْحسن عونا لَهُم على طَاعَة الله وعبادته باستماع** كِتَابه فيثابون على هَذَا الالتذاذ إِذْ اللَّذَّة الْمَأْمُور بهَا الْمُسلم يُثَاب عَلَيْهَا كَمَا يُثَاب على أكله وشربه ونكاحه...»[(٢)].

٢ ـ **الأمر** بتحسين التلاوة بالصوت؛ والحكمة في ذلك المبالغة في تدبر المعاني، والتفطن لما تضمنته الآيات من الأوامر، والنواهي، والوعد، والوعيد؛ لأن النفس ميّالة طبعًا إلى استحسان الأصوات، وربما يتفرغ الفكر مع حسن الصوت عن الشوائب، فيكون الفكر مجتمعًا، وإذا

---

(١) فضائل القرآن، لابن كثير (ص١٩٠ ـ ١٩٨) باختصار.
(٢) الاستقامة (١/ ٣٤٢).

اجتمع حصل المطلوب من الخشوع والخضوع[١].

٣ ـ استحباب سماع القرآن من ذي الصوت الحسن، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك»[٢].

تنبيهات:

تحسين الصوت لا يعني ما يفعله المتكلفون الآن من الغناء وإخراج القرآن عن وقاره وقراءته على أوزان الموسيقى ـ كما سبق في كلام ابن كثير رحمه الله ـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَهَذَا الْقُرْآن الَّذِي هُوَ كَلَام الله وَقد ندب النَّبِي ﷺ إِلَى تَحْسِين الصَّوْت بِهِ وَقَالَ «**زَينُوا الْقُرْآن بِأَصْوَاتِكُمْ**...» وَمَعَ هَذَا فَلَا يسوغ أَن يقْرَأ الْقُرْآن بألحان الْغناء وَلَا أَن يقرن بِهِ من الألحان مَا يقرن بِالْغنَاءِ من الْآلَات وَغَيرهَا لَا عِنْد من يَقُول بِإِبَاحَة ذَلِك وَلَا عِنْد من يحرمه؛ بل الْمُسلمُونَ متفقون على الْإِنْكَار لِأَن يقرن بتحسين الصَّوْت بِالْقُرْآنِ الْآلَات المطربة بالفم كالمزامير وباليد كالغرابيل. . .»[٣].

وقال التوربشتي رحمه الله: «وقد اغتر بظاهر هذا الحديث أقوام عدل بهم الهوى عن منهج الحق فتاهوا في بحارة الإفراط فتدرجوا في تحسين الصوت مع التجويد إلى التزيد في الألحان والأخذ بكتاب الله مأخذ

---

(١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٣/ ١٢).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٧٢). (٣) الاستقامة (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦).

الأغاني وكان أول من قرأ بالألحان على ما بلغنا عبيد الله بن أبي بكرة وكان يقرأ قراءة حزن فورثه منه ابن ابنه عبيد الله بن عمر بن عبيد الله وإليه تنسب قراءة العمري وأخذ عنه الأباضي ثم أخذ عن الأباضي سعيد العلاف، وكان الهشيم وأبان وابن أعين يدخلون في القراءة من ألحان الغناء والحداء.

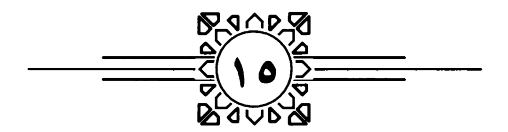
والقراءة على الوجه الذي يهيج الوجد في قلوب السامعين، ويورث الحزن ويجلب الدمع؛ مستحب ما لم يخرجه التغني عن التجويد، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف؛ فإذا انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب فيه كراهة.

وأما الذي أحدثه المتكلفون، وأبدعه المرتهنون بمعرفة الأوزان وعلم الموسيقى؛ فيأخذون في كلام الله مأخذهم في النشيد والغزل والمرثوات حتى لا يكاد السامع يفهمه من كثرة النغمات والتقطيعات؛ فإنه من أشنع البدع، وأسوأ الأحداث في الإسلام؛ ونرى أدنى الأقوال وأهون الأحوال فيه أن توجب على السامع النكير، وعلى التالي التعزيز»[(١)]

وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد علم مما ذكرناه أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان والموسيقى في كلام الله من الألحان والتطريب والتغني المستعمل في الغناء بالغزل على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة أن ذلك من أشنع البدع، وأنه يوجب على سامعهم النكير، وعلى التالي التعزير نعم إن كان التطريب والتغني مما اقتضته طبيعة القارئ وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم ولم يخرج عن حدّ القراءة فهذا جائز وإن أعانته طبيعته على فضل تحسين »[(٢)]

(١) الميسر في شرح مصابيح السُّنَّة، للتوربشتي (٢/ ٥١٠).

(٢) إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري (٧/ ٤٨١)



فضل قارئ القرآن بخشية وخشوع

✿ عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ قِرَاءَةً الَّذِي إِذَا قَرَأَ رُئِيَ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ**»(١).

الشَّرح

قوله: (**إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ قِرَاءَةً الَّذِي إِذَا قَرَأَ رُئِيَ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ**):

هذا الحديث فيه الحث على قراءة القرآن بخشوع، وعندما تراه يقرأ القرآن ترى أثره عليه، ويظهر من صوته وسمْتِه، فهو يخشى لأن القراءة حالة تقتضي مطالعة جلال الله وعرفان صفاته، ولذلك الحال آثار تنشأ عنها الخشية من وعيد الله وزواجر تذكيره وقوارع تخويفه.

فمن تلبس بهذا الحال وظهرت عليه هيبة الجلال؛ فهو أحسن الناس قراءة لما دل عليه حاله من عدم غفلة قلبه عن تدبر مواعظ ربه وخشية الله سبب لولوج نور اليقين في القلب والتلذذ بكلام الرب ولم يكن كذلك فالقرآن لا تجاوز حنجرته(٢).

وورد بيان لهذا الحديث في حديث جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١١٢ رقم ١٥٨٣).

(٢) انظر: فيض القدير (١/ ١٩٠)، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (١/ ٥٨)، التنوير شرح الجامع الصغير (١/ ٤٢١).

«إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ، حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللهَ»(١).

قال السندي رحمه الله: «أي الْمَطْلُوبُ مِنْ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ أَنْ تُنْتِجَ قِرَاءَتُهُ خَشْيَةَ اللهِ فَمَنْ رَأَيْتُمْ فِيهِ الْخَشْيَةَ فَقَدْ حَسَّنَ الصَّوْتَ بِالْقُرْآنِ الْمَطْلُوبِ شَرْعًا فَيُعَدُّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا»(٢)

• من فوائد الحديث:

١ ـ فضيلة القراءة بخشوع.

٢ ـ الحث على تدبُّر القرآن؛ إذ الخشوع ـ غالبًا ـ يكون نتيجة للفهم والتدبر.

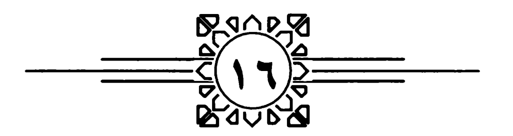
٣ ـ الترغيب في تجويد القراءة للقرآن وبيان أثر القرآن على القاريء.



---

(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (رقم ١٣٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٠٢).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٤٠٣).



ثواب الماهر بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ غَيْبًا مِنْ حِفْظِهِ وثواب الذي تشقّ عليه القراءة

✿ عن أُمِّ الـمُـؤْمِـنِـينَ أُمِّ عَـبْـدِ اللهِ عَـائِـشَـةَ رضي الله عنها قَـالَـتْ: قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«المَاهِرُ بِالْقُرآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ»**(١).

الشَّرح

قوله ﷺ: **(المَاهِرُ بِالْقُرآنِ)**:

هو الحاذق به، يقال: مهر بالشيء مهارةً: أحكمه، وأصله من السباحة. مهر: سبح في الماء(٢).

والمقصود بالماهر في القرآن أنّه: «الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف في القراءة ولا تشق عليه لجودة حفظه، وإتقانه ورعاية مخارج حروفه»(٣).

قال المهلب: «المهارة بالقرآن: جودة التلاوة له بجودة الحفظ،

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٤٩ رقم ٧٩٨) ـ بهذا اللفظ ـ، وأخرجه البخاري (٦/١٦٦ رقم ٤٩٣٧) ـ بنحوه ـ.

(٢) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٤/٦٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/٨٤)، وشرح المشكاة للطيبي (٥/١٦٣٥)، والتنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٤٦١).

فلا يتلعثم في قراءته، ولا يتغير لسانه بتشكك في حرف أو قصة مختلفة النص، وتكون قراءته سمحة بتيسير الله له كما يسره على الملائكة الكرام البررة، فهو معها في مثل حالها من الحفظ، وتيسير التلاوة، وفي درجة الأجر إن شاء الله، فيكون بالمهارة عند الله كريمًا برًّا»[1].

وقوله ﷺ: (مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ).

السَّفَرَةُ: الْمَلَائِكَة. جمع سافر، ككاتب وكَتَبَة.

وَفِي تسميتهم بالسفرة قَوْلَانِ:

أَحدهمَا: أَنه مَأْخُوذ من الْبَيَان والإيضاح، فَسُموا سفرة: أَي: كتبة؛ لِأَن الْكَاتِب يبين الشَّيْء ويوضحه، وَيُقَال لِلْكَاتِبِ سَافر.

وَالثَّانِي: مَأْخُوذ من السفارة، والسفير: الَّذِي يصلح بَين الِاثْنَيْنِ.

يُقَال: سفرت بَين الْقَوْم: أَي: أصلحت.

وَفِيمَا يسفرون فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحدهمَا: أَنهم يسفرون فِيمَا بَين الله وأنبيائه.

وَالثَّانِي: فِي صَلَاح النَّاس؛ لأَنهم ينزلون بِالْوَحْي والتأديب المصلح[2].

وقال العيني: «وهم الكتبة الَّذين يَكْتُبُونَ من اللَّوْح الْمَحْفُوظ»[3].

«وَالْمُرَادُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ حَمَلَةُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٥ - ١٦].

سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَنْقُلُونَ الْكُتُبَ الْإِلَهِيَّةَ الْمُنَزَّلَةَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ فَكَأَنَّهُمْ

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٥٤٢).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٦٥).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ١٩٢).

يَسْتَنْسِخُونَهَا، قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: **وَالْمَعْنَى الْجَامِعُ بَيْنَهُمْ** كَوْنُهُ مِنْ خَزَنَةِ الْوَحْيِ وَأُمَنَاءِ الْكُتُبِ، قَالَ مِيرَكُ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَا نَسَخُوا الْقُرْآنَ، وَقِيلَ: السَّفَرَةُ الْمَلَائِكَةُ الْكَاتِبُونَ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ أَوْ مِنَ السَّفَارِ بِمَعْنَى الْإِصْلَاحِ فَالْمُرَادُ هُمْ حِينَئِذٍ الْمَلَائِكَةُ النَّازِلُونَ بِأَمْرِ اللهِ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْعِبَادِ مِنْ حِفْظِهِمْ عَنِ الْآفَاتِ وَالْمَعَاصِي وَإِلْهَامِهِمُ الْخَيْرَ فِي قُلُوبِهِمْ»[١].

وقال القاضي عياض: **يحتمل** ـ والله أعلم ـ أَنَّ له فى الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة، لاتصافه بوصفهم بحمل كتاب الله.

ويحتمل أن يكون المراد: أنه عامل بعملِ السفرة وسالك مسلكهم من كون أنهم يحفظونه، ويؤدونه إلى المؤمنين، ويكشفون لهم ما يلتبس عليهم كما يقال: فلان مع بني فلان، إذا كان يرى رأيهم ويذهب مذهبهم كما قال لوط: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [الشعراء: ١١٨]، وقد جاء في بعض الأخبار أن مَنْ تعلَّمه مِن صغره وعمل به خلطه الله بلحمه ودمه وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة[٢].

ومعنى: (الْكِرَامُ):

جَمْعُ الْكَرِيمِ، أَيِ الْمُكْرَمِينَ عَلَى اللهِ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ مَوْلَاهُ لِعِصْمَتِهِمْ وَنَزَاهَتِهِمْ عَنْ دَنَسِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ.

ومعنى: (الْبَرَرَةِ):

جَمْعُ بَارٍّ وَهُوَ الْمُحْسِنُ، أَيِ: الْمُطِيعُونَ مِنَ الْبِرِّ وَهُوَ الطَّاعَةُ.

---

(١) شرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ١٠)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٥).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٦٦)، وشرح النووي على مسلم (٦/ ٨٤)، وشرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٦٣٥).

وقوله ﷺ: (وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ):

(وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ)؛ أَيْ: يَتَرَدَّدُ وَيَتَبَلَّدُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ وَيَقِفُ فِي قِرَاءَتِهِ لِعَدَمِ مَهَارَتِهِ، وَالتَّعْتَعَةُ فِي الْكَلَامِ التَّرَدُّدُ فِيهِ مِنْ حَصْرٍ أَوْ عِيٍّ، يُقَالُ: تَعْتَعَ لِسَانُهُ إِذَا تَوَقَّفَ فِي الْكَلَامِ وَلَمْ يُطِعْهُ لِسَانُهُ[1].

(فَلَهُ أَجْرَانِ): أَجْرٌ لِقِرَاءَتِهِ وَأَجْرٌ لِتَحَمُّلِ مَشَقَّتِهِ وَهَذَا تَحْرِيضٌ عَلَى تَحْصِيلِ الْقِرَاءَةِ.

قال ابن الجوزي: «وَرُبَمَا تخايل السَّامع فِي قَوْله: **(لَهُ أَجْرَانِ)** أَنه يزِيد على الماهر، وَلَيْسَ كَذَلِك؛ لِأَن المضاعفة للماهر لَا تحصر؛ فَإِن الْحَسَنَة قد تضَاعف إِلَى سَبْعمِائَة وَأكْثر، فَإِنَّمَا الْأجر شَيْء مُقدّر، فالحسنة لَهَا ثَوَاب مَعْلُوم، وفاعلها يُعْطى ذَلِك الثَّوَاب مضاعفًا إِلَى عشر مَرَّات، وَلِهَذَا المقصر مِنْهُ أَجْرَانِ»[2].

وقَالَ الْقَاضِي وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: «وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الَّذِي يَتَتَعْتَعُ عَلَيْهِ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَاهِرِ بِهِ؛ بَلِ الْمَاهِرُ أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ أَجْرًا؛ لِأَنَّهُ مَعَ السَّفَرَةِ وَلَهُ أُجُورٌ كَثِيرَةٌ وَلَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ لِغَيْرِهِ وَكَيْفَ يَلْحَقُ بِهِ مَنْ لَمْ يَعْتَنِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَحِفْظِهِ وَإِتْقَانِهِ وَكَثْرَةِ تِلَاوَتِهِ وَرِوَايَتِهِ كَاعْتِنَائِهِ حَتَّى مَهَرَ فِيهِ واللهُ أَعْلَمُ»[3].

«فَإِن قيل: فَهَلا جعل أجر هَذَا الَّذِي يشق عَلَيْهِ الْقُرْآن أَكثر، لِأَن مشقته أعظم؟

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٦٥)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٥)، وشرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ١٠).

(٢) كشف المشكل (٤/ ٣٦٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٨٥)، وشرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ١٠)، وشرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٦٣٥)، مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٥).

فَالْجَوَاب من وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: أَنه لَا يمهر مِنْهُ غَالِبا إِلَّا عَن كَثْرَة الدراسة، وَلَا يَقع التتعتع غَالِبًا إِلَّا عَن قلتهَا، فباجتهاد الْحَافِظ حَتَّى اسْتَقر فِي قلبه ارْتَفع أجره.

وَالثَّانِي: أَن يفضل الْحَافِظ الْفَهم على البليد لجوهرية خص بهَا لَا تكسب، كَمَا فضل الْعَرَبِيّ على الكودن، وَذَلِكَ فضل الله يؤتيه من يَشَاء»[(١)].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ فضل الاعتناء والحذق والمهارة في كتاب الله تعالى.

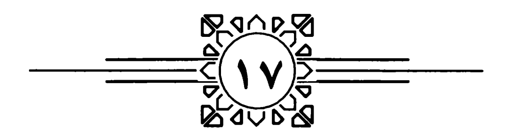
٢ ـ أن المشقة والصعوبة ينبغي ألا تحمل صاحبها على ترك قراءة القرآن؛ فله ثواب ذلك وأجره.

٣ ـ فضل الله وكرمه يشمل الأمة كلها: قويّها وضعيفها.

٤ ـ لا عذر لأحدٍ في ترك الفضائل فبابها مفتوح للجميع.



(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٣٦٥)



غِبْطة واغتباط صاحب القرآن وتَمَنِّي مِثْلَ عَمَلِهِ

✿ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا: فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**»(١).

الشَّرح

قوله ﷺ: (**لَا تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**)، **وفي رواية: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ)**:

«**الْحَسَدُ**: تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، وَخَصَّهُ بَعْضُهُمْ بِأَنْ يَتَمَنَّى ذَلِكَ لِنَفْسِهِ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ أَعَمُّ، وَسَبَبُهُ: أَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ التَّرَفُّعِ عَلَى الْجِنْسِ فَإِذَا رَأَى لِغَيْرِهِ مَا لَيْسَ لَهُ أَحَبَّ أَنْ يَزُولَ ذَلِكَ عَنْهُ لَهُ لِيَرْتَفِعَ عَلَيْهِ أَوْ مُطْلَقًا لِيُسَاوِيَهُ.

وَصَاحِبُهُ مَذْمُومٌ إِذَا عَمِلَ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ مِنْ تَصْمِيمٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩١ رقم ٥٠٢٦)، (٩/ ٨٤ برقم ٧٢٣٢)، (٩/ ١٥٤ رقم ٧٥٢٨).

وَيَنْبَغِي لِمَنْ خَطَرَ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يَكْرَهَهُ كَمَا يَكْرَهُ مَا وُضِعَ فِي طَبْعِهِ مِنْ حب الْمَنْهِيَّاتِ وَاسْتَثْنَوْا مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا كَانَتِ النِّعْمَةُ لِكَافِرٍ أَوْ فَاسِقٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى مَعَاصِي اللهِ تَعَالَى. **فَهَذَا حُكْمُ الْحَسَدِ بِحَسَبِ حَقِيقَتِهِ.**

وَأَمَّا الْحَسَدُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ فَهُوَ الْغِبْطَةُ، وَأَطْلَقَ الْحَسَدَ عَلَيْهَا مَجَازًا وَهِيَ أَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ مَا لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ.

وَالْحِرْصُ عَلَى هَذَا يُسَمَّى مُنَافَسَةً:

فَإِنْ كَانَ فِي الطَّاعَةِ فَهُوَ مَحْمُود، وَمِنْه: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

وَإِنْ كَانَ فِي الْمَعْصِيَةِ فَهُوَ مَذْمُومٌ وَمِنْهُ (وَلَا تَنَافَسُوا)(١).

وَإِنْ كَانَ فِي الْجَائِزَاتِ فَهُوَ مُبَاحٌ.

فَكَأَنَّهُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ: لَا غِبْطَةَ أَعْظَمُ أَوْ أَفْضَلُ مِنَ الْغِبْطَةِ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ»(٢).

«فمعنى الحسد هنا: شدة الحرص والرغبة من غير تمني زوالها عن صاحبها وهو المنافسة، وأطلق الحسد عليه؛ لأنهما سببه، وسماه البخاري اغتباطًا؛ لأن من أوتي مثل هذا ينبغي أن يغبط به وينافس فيه، قَالَ تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٣٢]. ثمَّ قَالَ: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾.

وقد جاء في بعض طرق الحديث ما يبين ذَلِكَ فقال فيه: «فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل» ذكره

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩ رقم ٥١٤٣)، (٨/ ١٩، ١٤٨ رقم ٦٠٦٤، ٦٧٢٤)، ومسلم في صحيحه (٨/ ١٠ رقم ٢٥٦٣) ـ واللفظ له ـ.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٤٥)، وفتح الباري، لابن حجر (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

البخاري في فضائل القرآن في باب: اغْتِبَاطِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، فلم يتمنَّ السلب، وإنما تمنى أن يكون مثله، وقد تمنى ذَلِكَ الصالحون والأخيار»[١].

قوله ﷺ: (رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ):

(آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ)؛ أَيْ: مَنَّ عَلَيْهِ بِحِفْظِهِ لَهُ كَمَا يَنْبَغِي.

والتلاوة للقرآن تشمل: قراءته، وكذلك العمل بِأَوَامِرِهِ وَمَنَاهِيهِ، والتَّأَمُّلِ فِي أَحْكَامِهِ وَمَعَانِيهِ وَيَتَحَلَّى بِآدَابِهِ.

(آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ)؛ أَيْ: فِي سَاعَاتِهِمَا جَمْعُ إِنَى بِالْكَسْرِ بِوَزْنِ مِعَى وَإِنْوِ وَإِنْيِ بِسُكُونِ النُّونِ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ[٢].

قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «يعني الأوقات التي يشار فيها إلى العبادة، وليس المراد التعبد بتلاوة القرآن جميع الليل والنهار»[٣].

(فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ):

وفي رواية: «فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ».

وهذه الرواية تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَسَدِ الْمَذْكُورِ هُنَا الْغِبْطَةُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فَهَذَا حسد مُنَافَسَة يُطَالب الْحَاسِد بِهِ نَفسه أَن

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٥٦).
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (٤/ ٤٦).

يكون مثل الْمَحْسُود لَا حسد مهانة يتَمَنَّى بِهِ زَوَال النِّعْمَة عَن الْمَحْسُود»[١].

قوله ﷺ: (فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ):

في هذا غِبْطَة أهل القرآن، وهذا من علو همة صاحبه، وكبر نفسه، وطلبها للتشبه بأهل الفضل.

قوله ﷺ: (وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا: فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ):

هذا الصنف الثاني المغبوط على فعله وهو الذي عرف نعمة الله تعالى في المال وأنفقه في وجوه الخير والإحسان، فتمنَّي مثل حاله مَنْ ليس معه مال.

وقد أخرج التِّرْمِذِيّ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ اسْتِوَاء الْعَامِل فِي العلم والْمَالِ بِالْحَقِّ وَالْمُتَمَنِّي فِي الْأَجْرِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: وفيه: «**وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»[٢].

---

(١) الفوائد، لابن القيم (ص١٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٤١ رقم ٢٣٢٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى حرمة الحسد وهو إجماع وهو المذموم، وأما المباح وهو الاغتباط كما سلف فمحمود، فإذا أنعم الله عَلَى أخيك نعمة فكرهتها وأحببت زوالها فحرام. قَالَ بعضهم: إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر أو من يستعين بها عَلَى فتنة وإفساد.

٢ ـ الدلالة على أنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة ويتمنى مثلها، إلا أحد هذين المذكورين، وذلك لما فيهما من منافع النفع العام والإحسان المتعدى إلى الخلق، فهذا ينفعهم بعلمه وهذا ينفعهم بماله، والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله.

٣ ـ أن الغني إِذَا قام بشرط المال وفعل فيه ما يرضي الله كان أفضل من الفقير.

٤ ـ تمني الطاعات[١].

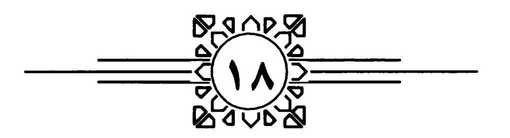
٥ ـ فضيلة النية الصادقة وأنها تبلغ بصاحبها منزلة صاحب العمل.

٦ ـ الحث على الهمّة العالية والتَّطَلُّع لفضائل الأعمال ورفيع الدرجات.



---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٦٢)، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٦٢)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٣٦٣)، وسبل السلام (٢/ ٦٥٦).



يلبس الله تعالى صاحب القرآن تاج الكرامة يوم القيامة ويرضى عنه

✿ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**».

وفي رواية: «**يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ...**» بمثله[(١)]

الشَّرح

في هذا الحديث الشريف يبيّن النبي ﷺ منزلة صاحب القرآن الذي كان في الدنيا يلازم القرآن في التلاوة والعمل.

فإذا انتقل صاحب القرآن من هذه الحياة الدنيا إلى الدار الآخرة فإن القرآن يرفع شأن صاحبه يوم القيامة ويطلب من الله ﷻ أن يزين صاحبه ويحليه، فيقبل الله ﷻ ويلبس صاحب القرآن تاج الكرامة ثم حُلَّةَ الكرامة ويرضى عنه الله ﷻ، وهذه منزلة عالية في الجنة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٢٨ رقم ٢٩١٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٥٢ رقم ٢٠٣٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٦٤).

قوله: (فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ):

أَيْ: إِلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ أَوْ مَرَاتِبِ الْقُرْبِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّ التَّرَقِّيَ يَكُونُ دَائِمًا، فَكَمَا أَنَّ قِرَاءَتَهُ فِي حَالِ الِاخْتِتَامِ اسْتَدْعَتْ الِافْتِتَاحَ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ كَذَلِكَ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ وَالتَّرَقِّي فِي الْمَنَازِلِ الَّتِي لَا تَتَنَاهَى، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ لَهُمْ كَالتَّسْبِيحِ لِلْمَلَائِكَةِ لَا تَشْغَلُهُمْ مِنْ مُسْتَلَذَّاتِهِمْ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ مُسْتَلَذَّاتِهِمْ(١)

قال الخطابي: «جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن على قدر دَرَج الجنة، فيقال للقارئ: ارقَ في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رُقيهُ في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»(٢).

وقوله: (وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً):

وهذا من كرم الله وفضله و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١].

• من فوائد الحديث:

١ ـ كرامة صاحب القرآن على الله تعالى وعظيم تكريمه وأجره وعلو شأنه.

٢ ـ القرآن الكريم وحفظه والعمل به من أبواب رضا الله ﷻ.

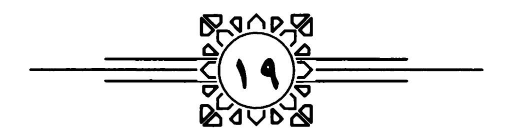
٣ ـ اجتهد في الحفظ والقراءة فمنزلتك عند آخر اجتهادك.

٤ ـ القرآن من أعظم أبواب الحسنات.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٦٩).

(٢) معالم السنن (١/ ٢٨٩).



نزول السكينة على قارئ القرآن

✿ عن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: **«تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ»**(١)

الشَّرح

في هذا الحديث بيان فضل قراءة القرآن وبيان ما يصاحب هذا من خيرات وهبات من الله تعالى تتنزل على قارئه من نزول السكينة والملائكة.

قوله: (كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ):

قال ابن كثير رحمه الله: «والظاهر أن هذا هو أُسَيْد بن الحضير رضي الله عنه»(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: «قيل: هو أسيد بن حضير، كما سيأتي من حديثه نفسه بعد ثلاثة أبواب لكن فيه أنه كان يقرأ سورة البقرة وفي هذا أنه كان يقرأ سورة الكهف وهذا ظاهره التعدد»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٨ رقم ٥٠١١)، ومسلم في صحيحه (٢/ ١٩٣ رقم ٧٩٥) - بهذا اللفظ -، وأخرجه البخاري دون ذكر سورة الكهف - بنحوه - في (٤/ ٢٠١ رقم ٣٦١٤)، (٦/ ١٣٦ رقم ٤٨٣٩).

(٢) فضائل القرآن، لابن كثير (ص١٦٨).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٥٧).

والحديث الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر هو ما رواه البخاري من حديث أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لَا أَرَاهَا،

قَالَ: «**وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**تِلْكَ المَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ**» رواه البخاري(١).

وقد أورد البخاري حديث البراء في (بَاب فَضْلِ سُورَةِ الكَهْفِ) وأورد حديث أسيد بن حضير في «**بَاب نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالمَلَائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ**».

وقوله: (حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ):

«الحِصان ـ بكسر الحاء ـ الكريم من فحولة الخيل، يُقال: فرس حصان بين التحصين والتحصن، وسُمِّي به؛ لأنه ضن بمائه فلم ينز إلا علي كريمة، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانًا».

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٩٠ رقم ٥٠١٨) ـ معلّقًا مجزومًا به ـ وهو موصول عند غير البخاري، ورواه مسلم (رقم ٧٩٦).

والشطَن - بفتح الطاء - الحبل.

وقيل: هو الحبل الطويل، وإنما ذكر الربط بشطنين، تنبيهًا علي جموحه واستصعابه»[١].

وقوله ﷺ: (تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ):

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى السَّكِينَةِ هُنَا أَشْيَاءُ، الْمُخْتَارُ مِنْهَا: أَنَّهَا شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تعالى فيه طُمَأْنِينَةٌ وَرَحْمَةٌ وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَاللهُ أَعْلَمُ»[٢].

وقال ابن المنيّر رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَضِي الله عَنْك، ترْجم على نزُول السكينَة وَالْمَلَائِكَة، وَلم يذكر فِي هَذَا الحَدِيث إِلَّا الْمَلَائِكَة، لَكِن فِي حَدِيث الْبَراء فِي سُورَة الْكَهْف (**تِلْكَ السكينَة نزلت**)[٣] فلمّا أخبر عَن نُزُولهَا عِنْد سَماع الْقُرْآن، نبّه البُخَارِيّ على تلازمهما، وَفهم من الظلّة أَنَّهَا السكينَة. فَلهَذَا سَاقهَا فِي التَّرْجَمَة»[٤].

وقال ابن بطّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «مرةً أخبر ﷺ عن نزول السكينة، ومرة أخرى عن نزول الملائكة، فدل على أن السكينة كانت في تلك الظلة وأنها تنزل أبدًا مع الملائكة، والله أعلم، ولذلك ترجم البخاري باب نزول السكينة والملائكة عند القراءة»[٥].

• من فوائد الحديث

١ - جَوَازُ رُؤْيَةِ آحَادِ الْأُمَّةِ الْمَلَائِكَةَ.

---

(١) شرح المشكاة، للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٦٣٨).
(٢) شرح النووي على مسلم (٦/ ٨٢).
(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٨٨ رقم ٥٠١١).
(٤) المتواري على أبواب البخاري (ص٣٨٩).
(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٢٥٤).

٢ - فَضِيلَةُ الْقِرَاءَةِ وَأَنَّهَا سَبَبُ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُضُورِ الْمَلَائِكَةِ.

٣ - فَضِيلَةُ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ ﷺ: **«اقْرَأْ فُلَانُ»** وَفِي الرواية الأخرى: اقرأ ثلاث مرات، **معناه**: كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَمِرَّ عَلَى الْقُرْآنِ وَتَغْتَنِمَ مَا حَصَلَ لَكَ مِنْ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَتَسْتَكْثِرَ مِنَ الْقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ بَقَائِهَا[١].

٤ - أن الملائكة تحب أن تسمع القرآن من بنى آدم لا سيما قراءة المحسنين منهم؛ لقوله: **«تِلْكَ المَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ»** وكان أسيد بن حضير حسن الصوت بالقرآن.

٥ - ودل قوله ﷺ لأسيد: **«وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»** على حرص الملائكة على سماع كتاب الله من بنى آدم.

٦ - وهذا كله ترغيب في حفظ القرآن، وقيام الليل به، وتحسين قراءته.

٧ - جواز رؤية بنى آدم للملائكة إذا تصورت في صورة يمكن للآدميين رؤيتها[٢].

«وإظهار أمثال هذه الآيات علي العباد من باب التأييد الإلهي يؤيد بها المؤمن، فيزداد يقينًا ويطمئن قلبه إذا كوشف بها»[٣]



(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٨٢).
(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٢٥٤).
(٣) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٦٣٨).

٢٠

تشريف أهل القرآن وبيان أنهم أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ

۞ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»**(١).

الشَّرح

قوله ﷺ: **(إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ)**:

(أَهْلِينَ) جمع أهل، يُرفع بالواو، ويجرّ ويُنصب بالياء؛ لكونه مُلحقًا بجمع المذكّر السالم.

قوله ﷺ: (هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ):

«لما قربهم واختصهم كانوا كأهله ومنه قيل لأهل مكة أهل الله لما كانوا سكان بيته وما حوله كانوا كأهله»(٢).

«والمراد: أنهم أولو إكرامه الله وإحسانه يكرمهم كما يكرم الرجل

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٥٦ رقم ٢٠٥٣) والنسائي في الكبرى (٧/ ٢٦٣ رقم ٧٩٧٧) والدارمي في مسنده (٤/ ٢٠٩٤ رقم ٣٣٦٩) وابن ماجه في سننه (١/ ١٤٦ رقم ٢١٥)، وأحمد في مسنده ط الرسالة (١٩/ ٣٠٥ رقم ١٢٢٩٢)، (٢١/ ١٧٥ رقم ١٣٥٤٢) والطيالسي في مسنده (٣/ ٥٨٩ رقم ٢٢٣٨)، والبزار في مسنده (١٣/ ٥٢٠ رقم ٧٣٦٩)، وصححه الدمياطي والمنذري وقال الذهبي: إسناده صالح ووافقه ابن حجر، والألباني وغيرهم.

(٢) فيض القدير (٢/ ٤٩٥).

أهله، وفيه الإرشاد إلى إكرامهم، وإلى أن يحسنوا العمل ويتخلقوا بأخلاق مَنْ هم أهله»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمُ الْعَالِمُونَ بِهِ، وَالْعَامِلُونَ بِمَا فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْفَظُوهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ.

وَأَمَّا مَنْ حَفِظَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ، فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ وَإِنْ أَقَامَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ»[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «وَالْمُتَابَعَة هِيَ التِّلَاوَة الَّتِي أثنى الله على أهلها فِي قَوْله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩] وَفِي قَوْله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]

وَالْمعْنَى: يتبعُون كتاب الله حق اتِّبَاعه، **وَالْمَقْصُود**: التِّلَاوَة الْحَقِيقِيَّة وَهِي تِلَاوَة الْمَعْنى واتباعه تَصْدِيقًا بِخَبَرِهِ وائتمارًا بِأَمْره وانتهاء بنهيه وائتمامًا بِهِ حَيْثُ مَا قادك انقدت مَعَه.

فتلاوة الْقُرْآن تتَنَاوَل تِلَاوَة لَفظه وَمَعْنَاهُ، وتلاوة الْمَعْنى أشرف من مُجَرّد تِلَاوَة اللَّفْظ **وَأَهْلهَا هم أهل الْقُرْآن الَّذين لَهُم الثَّنَاء فِي الدُّنْيَا والآخرة فَإِنَّهُم أهل تِلَاوَة ومتابعة حَقًّا**»[٣].

وقوله: (**وَخَاصَّتُهُ**)؛ أي: الذين اختصّهم بمزيد محبّته، والعناية الخاصة بهم، كاختصاص الإنسان بأهل بيته.

• من فوائد الحديث:

١ ـ بيان فضل القرآن، وأن قراءته أفضل العبادة؛ لأنه كلام الله تعالى.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٦٣).
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٢٧).
(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤٢).

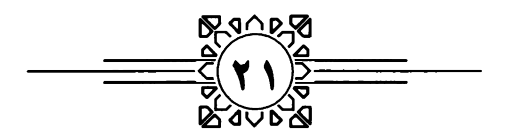
٢ ـ أن الله تعالى يخصّ بعض عباده، فيلهمهم العمل بأفضل الأعمال، حتى يرفع درجاتهم فوق كثير من الناس، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥].

٣ ـ أن القرآن العظيم يُغني صاحبه عن كل حسب ونسب، والتشرف بحفظه والتفقه فيه فوق كل شرف، فقد جعل الله أهل القرآن أهله وخاصته وكفى بهذا شرفًا.

٤ ـ أنّ أهل القرآن هم أحق من تأدب بآدابه وتخلّق بأخلاقه، كما قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَقَرَأَةُ الْقُرْآنِ حَمَلَةُ سِرِّ اللهِ الْمَكْنُونِ، وَحَفَظَةُ عِلْمِهِ الْمَخْزُونِ، وَخُلَفَاءُ أَنْبِيَائِهِ وَأُمَنَاؤُهُ، وَهُمْ أَهْلُهُ وَخَاصَّتُهُ وَخِيرَتُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ، فَمَا أَحَقَّ مَنْ عَلِمَ كِتَابَ اللهِ أن يزدجر بنواهيه، ويتذكر مَا شُرِحَ لَهُ فِيهِ، وَيَخْشَى اللهَ وَيَتَّقِيهِ، ويراقبه ويستحييه»[1].



(١) تفسير القرطبي (١/ ١) باختصار يسير.



فضل إكرام حامل القرآن المستقيم على هديه

۞ عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»[1].

الشَرح

قوله: (**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ**):

أَيْ: تَعْظِيمِهِ وَتكْرِيمِهِ.

(**إِكْرَام ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ**):

أي: تعظيم الشيخ الكبير صاحب الشيبة البيضاء، الذي عمره في الإيمان وتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه[2].

فتعظيمه وتقديمه في الصلاة بشرطه على غيره، وفي المجامع والمجالس، وفي القبر وغيره، والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته عند مولاه سبحانه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٧/ ٢١٢ رقم ٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ص١٦٩ رقم ٣٥٧)، وحسنه النووي في رياض الصالحين (ص١٤١)، والذهبي في الميزان (٤/ ٥٦٥)، والحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ١١٨)، والحافظ العراقي في تخريج الإحياء كما ذكر في فيض القدير (٢/ ٥٢٩)، والألباني في صحيح الأدب المفرد (ص١٤٣ رقم ٢٧٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٤٧)، فيض القدير (٢/ ٥٢٩).

(وَحَامِلِ الْقُرْآنِ)؛ أَيْ: وَإِكْرَامُ قَارِئِهِ وَحَافِظِهِ وَمُفَسِّرِهِ.

وسمِّيَ حاملًا لما تحمل في حفظه من الدرس والمشقة في تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ هُمُ الْعَامِلُونَ بِأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وحرامه بِمَا فِيهِ»[(١)].

(غَيْر الْغَالِي فِيهِ): بِالْجَرِّ؛ أَيْ: غَيْرَ الْمُجَاوِز عَنِ الْحَدِّ لَفْظًا وَمَعْنًى؛ كَالْمُوَسْوَسِينَ وَالشَّكَّاكِينَ أَوِ الْمُرَائِينَ أَوِ الْخَائِنِ فِي لَفْظِهِ بِتَحْرِيفِهِ كَأَكْثَرِ الْعَوَامِّ؛ بَلْ وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوْ فِي مَعْنَاهُ بِتَأْوِيلِهِ الْبَاطِلَ كَسَائِرِ الْمُبْتَدِعَةِ.

والمتجاوز الحد في التشدد وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، والكشف عن دقيق علله التي لا يصلح فيها عقله بما يبتدعه في الدين ليضلّ ويضلّ غيره ويجاوز حدود قراءته ومخارج حروفه ومده.

ومن الغلو المقيت: قول فئة منحرفة تزعم تعظيم القرآن: أنهم لا يأخذون إلا بما في القرآن ولا يعملون بالسُّنَّة وقد ردّ عليهم كثير من العلماء قديمًا وحديثًا.

(وَالْجَافِي عَنْهُ)؛ أَيْ: وَغَيْرَ الْمُتَبَاعِدِ عَنْهُ الْمُعْرِضِ عَنْ تِلَاوَتِهِ، وَأَحْكَامِ قِرَاءَتِهِ، وَإِتْقَانِ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ.

وَقِيلَ: **الْغُلُوُّ** الْمُبَالَغَةُ فِي التَّجْوِيدِ أَوِ الْإِسْرَاعُ فِي الْقِرَاءَةِ، بِحَيْثُ يَمْنَعُهُ عَنْ تَدَبُّرِ الْمَعْنَى.

وَالْجَفَاءُ: أَنْ يَتْرُكَهُ بَعْدَمَا عَلِمَهُ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ نَسِيَهُ، فَإِنَّهُ عُدَّ مِنَ

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٧/ ٤٣٠).

الْكَبَائِرِ. والنهي عن الجفاء يعني: تَعَاهَدُوهُ، وَلَا تَبْعُدُوا عَنْ تِلَاوَتِهِ بِأَنْ تَتْرُكُوا قِرَاءَتَهُ.

وَلِذَا قِيلَ: اشْتَغِلْ بِالْعِلْمِ بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُكَ عَنِ الْعَمَلِ، وَاشْتَغِلْ بِالْعَمَلِ بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُكَ عَنِ الْعِلْمِ، وَحَاصِلُهُ أَنَّ كُلًّا مِنْ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ مَذْمُومٌ وَالْمَحْمُودُ هُوَ الْوَسَطُ الْعَادِلُ، فالغلو من صفات النصارى، والجفاء من صفات اليهود، والقصد هو المأمور به.

وما أقبح بحامل القرآن أن يتلفظ بأحكامه ولا يعمل بها، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا[1].

قوله: (وإِكْرَامَ ذي السُّلطَانِ المُقْسِطِ)؛ أي: صاحب الملك، العادل في حكمه بين رعيته.

وفي الحديث: أنّ إكرام هؤلاء الثلاثة من تعظيم الله ومما يرضاه ويثيب عليه ويطلبه من عباده.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَوْقِيرِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ وَالنَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ وَالْفَاضِلُ وَالْعَالِمُ»[2].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ بيان عظمة القرآن وتعظيمه لحامله ومتبعه باعتدال وفق الشرع. وأنّ المؤمنين من إجلالهم للقرآن يجلُّون قارئ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه.

---

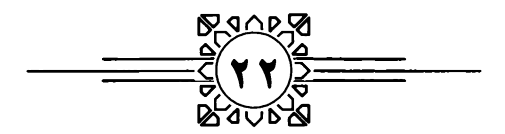
(١) انظر: الحكم الجديرة بالإذاعة (ص٤٧)، وشرح سنن أبي داود، لابن رسلان (١٨/ ٥٤٦)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣١١٤)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٢١٢).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤٠٨).

٢ ـ الحث على إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وأن ذلك من تعظيم الله.

٣ ـ من تعظيم الله وأوامره إكرام السلطان المسلم العادل.





نَفْيُ الْغَفْلَةِ عَنْ قَائِمِ اللَّيْلَ بالقرآن وثوابه

✪ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ»** رواه أبو داود[(١)]

الشَرح[(٢)]

قوله ﷺ: **(مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ)**:

قَامَ بِهِ؛ أَيْ: أَتَى بِهِ، يَعْنِي: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي صَلَاتِهِ عَلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّأَنِّي. **وَيُحْتَمَلُ**: مَنْ قَامَ وَقَرَأَ وَإِنْ لَمْ يُصلِّ.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: أَيْ: أَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَعَزْمٍ، من غير فتور، ولا توان، من قولهم: قام بالأمر، وقامت الحرب على ساقها. فيكون كناية عن حفظها، والدوام على قراءتها، والتفكر في معانيها، والعمل بمقتضاها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٤٥ رقم ١٣٩٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣١٨ رقم ١١٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٣١٠ رقم ٢٥٧٢)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٤/ ١٠٩ رقم ١٤٧٢٧) ـ بنحوه ـ.
وقال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٠٦).

(٢) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السُّنَّة (١/ ٣٥٩)، وشرح المشكاة، للطيبي (٤/ ١١٨٨)، وشرح سنن أبي داود، لابن رسلان (٦/ ٧٠٥)، وشرح المصابيح، لابن الملك (٢/ ١٥٢)، وشرح أبي داود للعيني (٥/ ٣٠٣)، ومرقاة المفاتيح (٣/ ٩١٠)، والتحبير لإيضاح معاني التيسير (٦/ ٦).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: أَيْ يَقْرَؤُهَا فِي رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ وَظَاهِرُ السِّيَاقِ أَنَّ الْمُرَادَ غَيْرُ الْفَاتِحَةِ. اهـ.

قال علي القاري: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَقَلُّ مَرَاتِبِ الصَّلَاةِ، وَهِيَ تَحْصُلُ بِقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ وَثَلَاثُ آيَاتٍ بَعْدَهَا، فَتِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ.

وقوله: (لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ):

أَيْ: الذين يغفلون عن ذكر الله تعالى ويلهون عنه، فلَمْ يُثْبَتِ اسْمُهُ فِي الصَحِيفَةِ في زمرة الْغَافِلِينَ؛ لأن من فعل هذا لم يكن غافلًا بل حاضرًا، أو مواظبًا على الطاعة.

وقوله: (وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ):

(القَانِتِينَ) قال القاري: أَيِ الْمُوَاظِبِينَ عَلَى الطَّاعَةِ أَوِ الْمُطَوِّلِينِ الْقِيَامَ فِي الْعِبَادَةِ. وَالْقُنُوتُ: الطَّاعَةُ وَالْقِيَامُ.

وقال ابن رسلان: وتأتي بمعنى الطائعين الله تعالى، وبمعنى الخاشعين، وبمعنى المصلين، وبمعنى العابدين، وبمعنى القائمين.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ؛ أَيْ: مِنَ الَّذِينَ قَامُوا بِأَمْرِ اللهِ وَلَزِمُوا طَاعَتَهُ وَخَضَعُوا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَلَا شَكَّ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ وَقْتٍ لَهَا مَزَايَا وَفَضَائِلُ، وَأَعْلَاهَا أَنْ تَكُونَ فِي الصَّلَاةِ، لَا سِيَّمَا فِي اللَّيْلِ، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: ٦] وَمِنْ ثَمَّ أَوْرَدَ مُحْيِي السُّنَّةِ الْحَدِيثَ فِي بَابِ صَلَاةِ اللَّيْلِ.

وقوله: (وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرِينَ):

قَالَ الْمُنْذِرِي: من سُورَة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ أَلْفُ آيَةٍ[1].

---

(١) الترغيب والترهيب، للمنذري (١/٢٤٨).

(كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ):

أَيْ: مِنَ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الأَجْرِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَنَاطِيرِ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ.

يَعْنِي: مِنَ الَّذِينَ بَلَغُوا فِي حِيَازَةِ الْمَثُوبَاتِ مَبْلَغَ الْمُقَنْطِرِينَ فِي حِيَازَةِ الأَمْوَالِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَا نَجِدُ الْعَرَبَ تَعْرِفُ وَزْنَ الْقِنْطَارِ، وَمَا نُقِلَ عَنِ الْعَرَبِ الْمِقْدَارُ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ، قِيلَ: أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ، فَإِذَا قَالُوا: قَنَاطِيرُ مُقَنْطَرَةٌ فَهِيَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَقِيلَ الْقِنْطَارُ: مِلْءُ جِلْدِ الثَّوْرِ ذَهَبًا، وَقِيلَ: هُوَ جُمْلَةٌ كَثِيرَةٌ مَجْهُولَةٌ مِنَ الْمَالِ. قَالَهُ الطِّيبِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: هُوَ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: «فإن قلت: بَيِّن لي التفاوت بين المراتب الثلاث.

قلت: الأولي مشعرة: بأن صاحب عشر آيات إذا قام بها خرج من زمرة الغفلة من العامة، ودخل في زمرة ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

وصاحب مائة: داخل في جملة من قيل في حقهم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم: ١٢]، ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]؛ أي: من الذين قاموا بأمر، ولزموا طاعته، وخضعوا له.

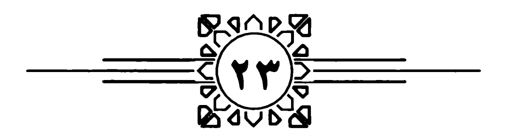
وأعلاها صاحب ألفٍ: لأنه داخل في غمار عمّال الله في أرضه، الذين بلغوا في حيازة المثوبات مبلغ المقنطرين في حيازة الأموال».

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ فضل قيام الليل بعدد الآيات المذكورة وما زاد فهو أحب إلى الله.

٢ ـ فضيلة القنوت والخشوع.

٣ ـ الحث على اليقظة والابتعاد عن الغفلة.



فَضْلُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وأنها لا مثيل لها في كل الكتب السماوية

✿ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا أُبَيُّ»** وَهُوَ يُصَلِّي، فَالتَفَتَ أُبَيٌّ وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، مَا مَنَعَكَ يَا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ»**.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: **«أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾»**.

قَالَ: بَلَى وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: **«تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟»**.

قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟»**.

قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ القُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»**[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥ رقم ٢٨٧٥) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني.

الشَّرح

حدثت هذه القصة أيضًا مع الصحابي أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ**: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]».

ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ)، قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[1].

قال الحافظ ابن حجر: «وجمع البيهقي بأن القصة وقعت لأبي بن كعب ولأبي سعيد بن المعلى **ويتعين المصير إلى ذلك** لاختلاف مخرج الحديثين واختلاف سياقهما»[2].

قوله ﷺ: (أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾):

قَالَ صَاحِبُ الْمَدَارِكِ: الْمُرَادُ بِالِاسْتِجَابَةِ الطَّاعَةُ وَالِامْتِثَالُ، وَبِالدَّعْوَةِ الْبَعْثُ وَالتَّحْرِيضُ،

وَقَوْلُهُ تَعَالَى (﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)؛ أَيْ: مِنْ عُلُومِ الدِّيَانَاتِ وَالشَّرَائِعِ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةٌ كَمَا أَنَّ الْجَهْلَ مَوْتٌ[3].

قوله ﷺ: (تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟):

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٧ رقم ٤٤٧٤). (٢) فتح الباري (٨/ ١٥٧).

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٩).

قوله: (وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟):

الفرقان: من أسماء القرآن، لأنه فارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

و«قال ابن التين: معناه: أن ثوابها أعظم من غيرها واستدل به على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض وقد منع ذلك الأشعري وجماعة؛ لأن المفضول ناقص عن درجة الأفضل وأسماء الله وصفاته وكلامه لا نقص فيها!

وأجابوا عن ذلك: بأن معنى التفاضل أن ثواب بعضه أعظم من ثواب بعض فالتفضيل إنما هو من حيث المعاني لا من حيث الصفة ويؤيد التفضيل قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]»[(١)].

وإنما كانت سُورَةُ الْفَاتِحَةِ كذلك: «لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي الْقُرْآنِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَالتَّعَبُّدِ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَذِكْرِ الْوَعْدِ لِأَنَّ فِيهِ ذِكْرُ رَحْمَةِ اللهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَبْلَغِ الْأَشْمَلِ، وَذِكْرِ الْوَعِيدِ لِدَلَالَةِ يَوْمِ الدِّينِ، أَيِ الْجَزَاءُ، وَلِإِشَارَةِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ وَذِكْرِ تَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَعِبَادَةِ عِبَادِهِ إِيَّاهُ وَاسْتِعَانَتِهِمْ بِولَاهُ وَسُؤَالِهِمْ مِنْهُ وَذِكْرِ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ وَمَقَامَاتِ السَّالِكِينَ، وَلَا سُورَةَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ أَعْظَمُ كَيْفِيَّةٍ وَإِنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ أَعْظَمُ مِنْهَا كَمِّيَّةً»[(٢)].

قوله: (فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ):

يعني: الفاتحة، «وسميت الفاتحة أم القرآن لأنها أصل القرآن وقيل لأنها متقدمة كأنها تؤمه»[(٣)].

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٥٨).
(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٥٩).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٣٨١).

وقال أبو عبيدة في أول مجاز القرآن: «ولسور القرآن أسماء منها أن الحمد لله تسمى أم الكتاب؛ لأنه يبدأ بها في أول القرآن وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة ويقال لها فاتحة الكتاب لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع»(١).

قوله: (وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ):

وفي حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى ﷺ، قَالَ ﷺ: «**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»(٢).

«وفي هذا تصريح بأن المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] **هي الفاتحة**... واختلف في تسميتها مثاني:

فقيل: لأنها تثني في كل ركعة؛ أي: تعاد.

وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى.

وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها»(٣).

وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لفاتحة الكتاب وتنبيه على ما اشتملت عليه من علوم يرجع إليها القرآن كله مع وجازة ألفاظها وقلة عدد آياتها.

وفي كتاب ابن القيم ﷺ «مدارج السالكين» ما يبين لماذا كانت الفاتحة بهذه المكانة وقد شرحها شرحًا يكاد يكون لا مثيل له، ومما قاله في فاتحة كتابه السابق: «[اشْتِمَالُ الْفَاتِحَةِ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ١٥٦).
(٢) رواه البخاري (٦/ ١٧ رقم ٤٤٧٤).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (٨/ ١٥٨).

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ أَتَمَّ اشْتِمَالٍ، وَتَضَمَّنَتْهَا أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ.

فَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْبُودِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ، مَرْجِعُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا إِلَيْهَا، وَمَدَارُهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ: اللهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَبُنِيَتِ السُّورَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، فَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَالثَّنَاءُ وَالْمَجْدُ كَمَالَانِ لِجَدِّهِ.

وَتَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ الْمَعَادِ، وَجَزَاءَ الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ، حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا، وَتَفَرُّدَ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْحُكْمِ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَكَوْنَ حُكْمِهِ بِالْعَدْلِ، وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ قَوْلِهِ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤].

وَتَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ النُّبُوَّاتِ مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ: ...إلخ»[1].

والحمد لله على تكريمه وإنعامه على هذه الأمة.



(١) انظر باقي كلامه في مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (١/ ٣١).



ومن فضائل الفاتحة: أنَّها أَخْيَرُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ

✪ **عن** عَبْدِ اللهِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَهَرَاقَ الْمَاءَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي وَأَنَا خَلْفَهُ، حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ، وَدَخَلْتُ أَنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَلَسْتُ كَئِيبًا حَزِينًا، فَخَرَجَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ تَطَهَّرَ، فَقَالَ: «**عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَابِرٍ بِخَيْرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**اقْرَإِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا**»[1].

الشَّرح

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَبْدُ اللهِ بْنُ جَابِرٍ هَذَا هُوَ الصَّحَابِيُّ، ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ هُوَ الْعَبْدِيُّ، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَابِرٍ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩/ ١٣٩ رقم ١٧٥٩٧)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٩/ ١٢٧ رقم ١١٢)، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تفسيره (١/ ١٠٥): «هَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ».

الْأَنْصَارِيُّ الْبَيَاضِيُّ، فِيمَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ»[(١)].

قوله: (فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ):

كرر الصحابي السلام على رسول الله ﷺ ثلاث مرات؛ ظنًّا أنه لم يسمعه.

قوله: (وَدَخَلْتُ أَنَا إِلَى الْمَسْجِدَ، فَجَلَسْتُ كَئِيبًا حَزِينًا):

إنما حزن لخوفه أن يكون قد أحدث شيئًا يكرهه الرسول ﷺ فلهذا لم يرد عليه السلام.

قوله: (فَخَرَجَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ تَطَهَّرَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ).

قوله: (قَدْ تَطَهَّرَ فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ...):

يُشعر بأن سبب ترك ردّ السلام إنما كان لكونه على غير وضوء؛ لأنه كره أن يردّ عليه السلام وهو على غير وضوء، فلما توضأ؛ رد عليه ثلاثًا كما سلّم ثلاثًا؛ لأن رد السلام ذِكر والأفضل للذاكر أن يكون على طهارة، وكان النبي ﷺ يفعل الأكمل والأفضل، وقد جاء معنى ذلك صريحًا في حديث المُهاجِر بن قُنفُذ: أنَّه أتى النبيَّ ﷺ وهو يبولُ، فسلَّمَ عليه، فلم يَرُدَّ عليه حتَّى توضَّأ، ثُمَّ اعتَذَرَ إليه فقال: «**إنِّي كَرِهتُ أن أذكُرَ الله ﷻ إلا على طُهرٍ ـ أو قال: على طهارةٍ ـ**»[(٢)].

قال الطيبيّ: «فيه دليل على أن من قصر في جواب السلام بعذر يستحب أن يعتذر إليه، حتى لا ينسبه إلى الكبر، وعلى وجوب رد

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥)، وأورده ابن حجر رحمه الله في إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة (٦/ ٥٤٤) في مُسْنَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَابِرٍ الْبَيَاضِيِّ الْأَنْصَارِيِّ.

(٢) رواه أبو داود (١/ ١٤ رقم ١٧) وغيره، وإسناده صحيح كما في الأذكار، للنووي (ص٦٩).

السلام؛ لأن تأخره للعذر يؤذن بوجوبه»[١].

قوله: ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَابِرٍ بِخَيْرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟):

اسْتَدَلّ العلماء بِهَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ عَلَى تَفَاضُلِ بَعْضِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ عَلَى بَعْضٍ، كَمَا هُوَ الْمَحْكِيُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ: إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ، وَابْنُ الْحِصَارِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ[٢].

قوله: (اقْرَأْ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا):

يعني: سورة الفاتحة، وفي هذا فضيلة ظاهرة لسورة الفاتحة، «وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات، لا صلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها عنها»[٣]

«وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: إنَّ اللهَ جَمَعَ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ فِي الْقُرْآنِ وَجَمَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ فِي الْمُفَصَّلِ وَجَمَعَ عِلْمَ الْمُفَصَّلِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَجَمَعَ عِلْمَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾»[٤].

وقد وردت في فضائلها أحاديث كثيرة، وبيّن العلماء لماذا كانت بهذه المنزلة والفضيلة وأفاضوا في ذلك، ومن جوامع كلام المحققين في ذلك:

---

(١) شرح المشكاة، للطيبي (٣/ ٨٢٣).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥) وسبق تناول موضوع التفضيل في شرح حديث فضل سورة الإخلاص.
(٣) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة (ص٥٦).
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨).

ما ذكره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **فقال**: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ: وَأُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالشِّفَاءُ التَّامُّ، وَالدَّوَاءُ النَّافِعُ، وَالرُّقْيَةُ التَّامَّةُ، وَمِفْتَاحُ الْغِنَى وَالْفَلَاحِ، وَحَافِظَةُ الْقُوَّةِ، وَدَافِعَةُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْخَوْفِ وَالْحَزَنِ لِمَنْ عَرَفَ مِقْدَارَهَا وَأَعْطَاهَا حَقَّهَا، وَأَحْسَنَ تَنْزِيلَهَا عَلَى دَائِهِ، وَعَرَفَ وَجْهَ الِاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهَا، وَالسِّرَّ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَانَتْ كَذَلِكَ.

وَلَمَّا وَقَعَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَلَى ذَلِكَ، رَقَى بِهَا اللَّدِيغَ، فَبَرَأَ لِوَقْتِهِ.

وَمَنْ سَاعَدَهُ التَّوْفِيقُ، وَأُعِينَ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ حَتَّى **وَقَفَ عَلَى أَسْرَارِ هَذِهِ السُّورَةِ**، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَمَعْرِفَةِ الذَّاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَإِثْبَاتِ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ وَالْمَعَادِ، وَتَجْرِيدِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَكَمَالِ التَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيضِ إِلَى مَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَالِافْتِقَارُ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْهِدَايَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَعَلِمَ ارْتِبَاطَ مَعَانِيهَا بِجَلْبِ مَصَالِحِهِمَا، وَدَفْعِ مَفَاسِدِهِمَا، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ الْمُطْلَقَةَ التَّامَّةَ، وَالنِّعْمَةَ الْكَامِلَةَ مَنُوطَةٌ بِهَا، مَوْقُوفَةٌ عَلَى التَّحَقُّقِ بِهَا؛ **أَغْنَتْهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالرُّقَى**، وَاسْتَفْتَحَ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ أَبْوَابَهُ، وَدَفَعَ بِهَا مِنَ الشَّرِّ أَسْبَابَهُ.

وَهَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ اسْتِحْدَاثَ فِطْرَةٍ أُخْرَى، وَعَقْلٍ آخَرَ، وَإِيمَانٍ آخَرَ!

وَتَاللهِ لَا تَجِدُ مَقَالَةً فَاسِدَةً، وَلَا بِدْعَةً بَاطِلَةً إِلَّا **وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ** مُتَضَمِّنَةٌ لِرَدِّهَا وَإِبْطَالِهَا بِأَقْرَبِ الطُّرُقِ، وَأَصَحِّهَا وَأَوْضَحِهَا!

وَلَا تَجِدُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَدْوِيَتِهَا مِنْ عِلَلِهَا وَأَسْقَامِهَا إِلَّا وَفِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ مِفْتَاحُهُ، وَمَوْضِعُ الدِّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَلَا مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا وَبِدَايَتُهُ وَنِهَايَتُهُ فِيهَا.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنَّ شَأْنَهَا لَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ فَوْقَ ذَلِكَ. وَمَا تَحَقَّقَ

عَبْدٌ بِهَا، وَاعْتَصَمَ بِهَا، وَعَقَلَ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِهَا، وَأَنْزَلَهَا شِفَاءً تَامًّا، وَعِصْمَةً بَالِغَةً، وَنُورًا مُبِينًا، وَفَهِمَهَا وَفَهِمَ لَوَازِمَهَا كَمَا يَنْبَغِي وَوَقَعَ فِي بِدْعَةٍ وَلَا شِرْكٍ، وَلَا أَصَابَهُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ إِلَّا لِمَامًا، غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ.

هَذَا، **وَإِنَّهَا الْمِفْتَاحُ الْأَعْظَمُ** لِكُنُوزِ الْأَرْضِ، كَمَا أَنَّهَا الْمِفْتَاحُ لِكُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يُحْسِنُ الْفَتْحَ بِهَذَا الْمِفْتَاحِ.

وَلَوْ أَنَّ طُلَّابَ الْكُنُوزِ وَقَفُوا عَلَى سِرِّ هَذِهِ السُّورَةِ، وَتَحَقَّقُوا بِمَعَانِيهَا، وَرَكَّبُوا لِهَذَا الْمِفْتَاحِ أَسْنَانًا، وَأَحْسَنُوا الْفَتْحَ بِهِ، لَوَصَلُوا إِلَى تَنَاوُلِ الْكُنُوزِ مِنْ غَيْرِ مُعَاوِقٍ، وَلَا مُمَانِعٍ.

وَلَمْ نَقُلْ هَذَا مُجَازَفَةً وَلَا اسْتِعَارَةً؛ بَلْ حَقِيقَةً، وَلَكِنْ للهِ تَعَالَى حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فِي إِخْفَاءِ هَذَا السِّرِّ عَنْ نُفُوسِ أَكْثَرِ الْعَالَمِينَ، كَمَا لَهُ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فِي إِخْفَاءِ كُنُوزِ الْأَرْضِ عَنْهُمْ، وَالْكُنُوزُ الْمَحْجُوبَةُ قَدِ اسْتُخْدِمَ عَلَيْهَا أَرْوَاحٌ خَبِيثَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ تَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسِ وَبَيْنَهَا، وَلَا تَقْهَرُهَا إِلَّا أَرْوَاحٌ عُلْوِيَّةٌ شَرِيفَةٌ غَالِبَةٌ لَهَا بِحَالِهَا الْإِيمَانِيِّ، مَعَهَا مِنْهُ أَسْلِحَةٌ لَا تَقُومُ لَهَا الشَّيَاطِينُ، وَأَكْثَرُ نُفُوسِ النَّاسِ لَيْسَتْ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَلَا يُقَاوِمُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ وَلَا يَقْهَرُهَا، وَلَا يَنَالُ مِنْ سَلَبِهَا شَيْئًا، فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ»(١).

ومن أراد المزيد من أسرار هذه السورة فليراجع مدارج السالكين، لابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فقد قال في فاتحة الكتاب: «وَنَحْنُ بِعَوْنِ اللهِ نُنَبِّهُ عَلَى هَذَا بِالْكَلَامِ عَلَى **فَاتِحَةِ الْكِتَابِ** وَأُمِّ الْقُرْآنِ، وَعَلَى بَعْضِ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبِ، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الرَّدِّ عَلَى جَمِيعِ طَوَائِفِ أَهْلِ

---

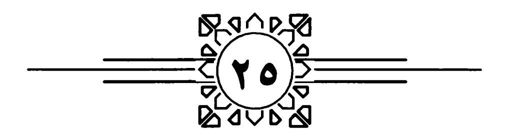
(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٣١٨).

الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ وَسَائِلِهَا وَغَايَاتِهَا، وَمَوَاهِبِهَا وَكَسْبِيَّاتِهَا، وَبَيَانِ أَنَّهُ لَا يَقُومُ غَيْرُ هَذِهِ السُّورَةِ مَقَامَهَا، وَلَا يَسُدُّ مَسَدَّهَا، وَلِذَلِكَ لَمْ يُنَزِّلِ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[1].



---

(١) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ (١/ ٣٠).



أنوار الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وفضل قِرَاءَتهما

✿ عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: **«هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»**(١)

الشَّرْح

قوله: (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ):

بَيْنَمَا هي «بين» زيدت عليها «ما»، وتضاف إلى جملة، وتحتاج إلى جواب يتم به معناها، وهو قوله: **(سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ)**(٢)

قوله: (سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ).

سَمِعَ: أَيْ جِبْرِيلُ.

نَقِيضًا: أَيْ: صَوْتًا شَدِيدًا كَصَوْتِ نَقْضِ خَشَبِ الْبِنَاءِ عِنْدَ كَسْرِهِ، وَقِيلَ: صَوْتًا مِثْلَ صَوْتِ الْبَابِ(٣)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤ رقم ٨٠٦).
(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١١/ ٥٤٦).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٦٤).

فَرَفَعَ رَأْسَهُ: أَيْ: جِبْرِيلُ هو الذي رفع رأسه كما في رواية النسائي؛ وذلك لينظر إلى سبب النقيض المسموع.

فَقَالَ: (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ).

الضَّمِيرُ فِي قَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَنَّهُ حَضَرَ عِنْدَهُ لِلْإِخْبَارِ عَنْ أَمْرٍ غَرِيبٍ[١].

وهذا الباب المفتوح في السماء الدنيا لم يفتح إلا الآن لأول مرة منذ خلقه.

وقوله: (أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ).

أي: أنّ هذين النورين من خصائص النبي ﷺ وفضائل له ولأمته.

وسَمَّاهُمَا (نُورَيْنِ)؛ «أي: بأمرين عظيمين، نيّرين، تبيِّن لقارئهما وتنوره»[٢]؛ «لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نُورٌ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِهِمَا أَوْ لِأَنَّهُمَا يُرْشِدَانِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِالتَّأَمُّلِ فِيهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ»[٣].

«**وخصت الفاتحة بهذا**؛ لأنها تضمنت جملة معاني الإيمان والإسلام، والإحسان. وعلى الجملة: **فهي** آخذة بأصول القواعد الدينية، والمعاقد المعارفية. **وخصت خواتيم سورة البقرة بذلك**: لما تضمنته من الثناء على النبي ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها، وابتهالهم إلى الله، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم؛ ولما حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموها، فَخُفِّف عنهم،

---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٦٤).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٣٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٦٤).

وغُفر لهم، ونُصروا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبعه»[١].

وقال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا ذُخِرَتْ لَهُ وَكُنِزَتْ لَهُ فَلَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ آيِ الْقُرْآنِ مُنَزَّلٌ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَا هُوَ بِاللَّفْظِ وَمَا هُوَ بِالْمَعْنَى وَهَذِهِ الْآيَاتُ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَيْضًا مَا لَمْ يُؤْتَهُ غَيْرُهُ إِلَّا أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ خُصُوصِيَّةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ وَضْعُ الْإِصْرِ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فَنَاسَبَ ذِكْرَهَا مِنَ الْخَصَائِصِ»[٢].

(**لَنْ تَقْرَأَ**) «الْخِطَابُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْمُرَادُ هُوَ وَأُمَّتُهُ؛ إِذِ الْأَصْلُ مُشَارَكَتُهُمْ لَهُ فِي كُلِّ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا اخْتُصَّ بِهِ»[٣]

(**لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**):

(**بحرف**)؛ أي: بكلمة (**منهما**)؛ أي: من كلماتهما (**إلا أعطيته**)؛ أي: إلا أعطيت بمعنى ذلك الحرف أي بمقتضى تلك الكلمة وأجبت به[٤]

«أَيْ: أُعْطِيتَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْجُمْلَةُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] وكَقَوْلِهِ: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] وَنَظَائِرُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ الْمَسْأَلَةِ فِيمَا هُوَ حَمْدٌ وَثَنَاءٌ أُعْطِيتَ ثَوَابَهُ، قَالَ مِيرَكُ: وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِالْحَرْفِ حَرْفُ التَّهَجِّي وَمَعْنَى قَوْلِهِ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٣٤).
(٢) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ١١٤).
(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٦٤).
(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٠/ ١٥٩).

أُعْطِيتَهُ حِينَئِذٍ أُعْطِيتَ مَا تَسْأَلُ مِنْ حَوَائِجِكَ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ»[١]

وقد وردت في سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة نصوص كثيرة تبين فضلهما وذكرها العلماء في كتب فضائل القرآن وفي كتب التفسير وشروح الأحاديث، وسيأتي بعضها ويُلتمس الآخر في الكتب المذكورة.

فائدة:

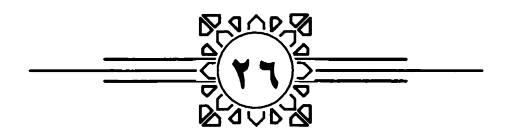
هل نزل هذا الملك بالفاتحة أم نزل ببيان ثوابها المذكور فقط؟!

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن سورة الفاتحة بعد ذكره لحديث الباب: «وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ نُزُولَهَا كَانَ بِمَكَّةَ، نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣] وَهَذَا يَقْتَضِي جَمِيعَ الْقُرْآنِ، فَيَكُونُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِتِلَاوَتِهَا بِمَكَّةَ، وَنَزَلَ الْمَلَكُ بِثَوَابِهَا بِالْمَدِينَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ مَدَنِيَّةٌ، نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ مَرَّتَيْنِ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ. وَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْلَى. فَإِنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ الْقُرْآنِ والسُّنَّة، ولله الحمد والمنة»[٢].



(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٦٥).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ١١٦).



فضل سُورَةِ الْبَقَرَةِ وخروج الشيطان من البيت الذي تُقْرَأُ فيه

۞ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»[١]

الشَّرح[٢]

قوله: (إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا):

أَيْ: رِفْعَةٌ وَعُلُوٌّ، اسْتُعِيرَ مِنْ سَنَامِ الْجَمَلِ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا حَتَّى صَارَ مَثَلًا وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْبَقَرَةُ سَنَامَ الْقُرْآنِ.

قوله: (وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ):

لعلو معانيها وكثرة علومها، قال ابن قتيبة رحمه الله: أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «سَنَامُ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةُ» أَعْلَاهُ، كَمَا أَنَّ السَّنَامَ مِنَ الْبَعِيرِ أَعْلَاهُ.

وإنما كانت سُورَةُ الْبَقَرَةِ كذلك: إِمَّا بِطُولِهَا وَاحْتِوَائِهَا عَلَى

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٨ رقم ٢٠٦٠) وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ»، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢/ ١٣٥ رقم ٥٨٨).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص٣٧٦)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٩١)، وفيض القدير (٢/ ٥١١)، والتنوير شرح الجامع الصغير(٤/ ٨٨)، (٩/ ٨٣)، والتيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٤١).

أَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ، أَوْ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ، وَبِهِ الرِّفْعَةُ الْكَبِيرَةُ.

وقد عظّم النبي ﷺ فضلها، فقال: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(١)

قوله: (وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ):

قيل: إن ذلك لما فيها من آية الكرسي والأظهر أنه سر خاص فيها إذ لو كان لآية الكرسي وحدها لأفردت بالخاصية.

(خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ):

أَي: فِي مَحل سكنه بَيْتًا أَو غَيره وَذكر الْبَيْت غالبي.

وقد روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(٢)

قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمَعْنَى: يَيْأَسُ مِنْ إِغْوَاءِ أَهْلِهِ بِبَرَكَةِ هَذِهِ السُّورَةِ، أَوْ لِمَا يَرَى مِنْ جِدِّهِمْ فِي الدِّينِ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي طَلَبِ الْيَقِينِ. **وَخَصَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِذَلِكَ** لِطُولِهَا وَكَثْرَةِ أَسْمَاءِ اللهِ - تَعَالَى - وَالْأَحْكَامِ فِيهَا.

وَقَدْ قِيلَ: فِيهَا أَلْفُ أَمْرٍ وَأَلْفُ نَهْيٍ وَأَلْفُ حُكْمٍ وَأَلْفُ خَبَرٍ»(٣)

---

(١) رواه مسلم (١/ ٥٥٣ رقم ٨٠٤)، وقَالَ مُعَاوِيَةُ ابْن سَلَّامٍ - أحد رواة الحديث -: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٣٩ رقم ٧٨٠).

(٣) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٦٠).

• **من فوائد الحديث:**

١ ـ فيه «دَلَالَةٌ عَلَى عَدَمِ كَرَاهَةِ أَنْ يُقَالَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ خِلَافًا لِمَنْ يَقُولُ: إِنَّمَا يُقَالُ السُّورَةُ الَّتِي فِيهَا الْبَقَرَةُ أَوْ يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ».

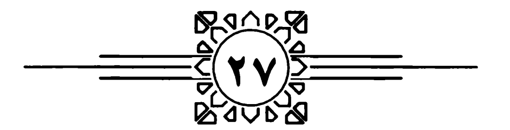
قال النووي: «وَأَمَّا مَنْ كَرِهَ قَوْلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَنَحْوِهَا فغالط»[1].

٢ ـ وفيه: فضل سورة البقرة وأنها طاردة للشياطين.

٣ ـ وفيه الترغيب في قراءة سورة البقرة في البيت وغيره؛ لتحصينه من الشيطان.



(١) شرح النووي على مسلم (٦/٦٨)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٦٠).



ثواب قراءة آية الكرسي دبر كل صَلَاة

۞ عن أبي أُمَامَة قَالَ قَالَ رَسُول الله ﷺ: **«من قَرَأَ آيَة الْكُرْسِيّ فِي دبر كل صَلَاة مَكْتُوبَة لم يمنعهُ من دُخُول الْجنَّة إِلَّا أَن يَمُوت»**(١).

الشَّرْح

هذا الحديث فيه فضل آية الكرسي وثواب قراءتها دبر الصلوات المكتوبة.

قوله: (لم يمنعهُ من دُخُول الْجنَّة إِلَّا أَن يَمُوت).

أَيْ: لا يمنعه مَانِعٌ من دُخُول الْجنَّة إِلَّا عَدَمُ الْمَوْتِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: «أَيِ: الْمَوْتُ حَاجِزٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا تَحَقَّقَ وَانْقَضَى حَصَلَت الجنة»(٢).

وقد وردت في آية الكرسي فضائل ومنها:

أنها أعظم آية في كتاب الله تعالى، فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ١٠٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (رقم ١٢٤)، والطبراني في الدعاء (رقم ٦٧٥)، وقال الحافظ المنذري رَحِمَهُ اللهُ في الترغيب: «أخرجه النسائي والطبراني بأسانيد أحدها صحيح. وقال شيخنا أبو الحسن: «هو على شرط البخاري»، وابن حبان في «كتاب الصلاة وصححه». اهـ. وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ».اهـ. وصححه الألباني. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٨).

(٢) شرح المشكاة، للطيبي (٣/ ١٠٦٤)، مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٧٢).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟».

قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟».

قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[(١)].

قال ابن العربي رحمه الله: «وإنّما كانت أعظم؛ لأنّها توحيدٌ كلّها»[(٢)].

قال النووي رحمه الله: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا تَمَيَّزَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ بِكَوْنِهَا أَعْظَمَ لِمَا جَمَعَتْ مِنْ أُصُولِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنَ الْإِلَهِيَّةِ والوحدانية وَالْحَيَاةِ وَالْعِلْم وَالْمُلْكِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَهَذِهِ السَّبْعَةُ أُصُولُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ»[(٣)].

«وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية، فإنها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الألوهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته موجد لغيره، إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، منَزَّه عن التحيز والحلول، مُبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، الذي لا يشفع عنده إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ عالم الأشياء كلها، جليها وخفيها، كليها وجزئيها، واسع الملك والقدرة، كل ما يصح أن يملك ويقدر عليه، لا يؤده شاق، ولا يشغله شأن، متعال عما يدركه، وهو عظيم لا يحيط به فهم»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٥٥٦ رقم ٨١٠).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٢/ ٣٧٠).

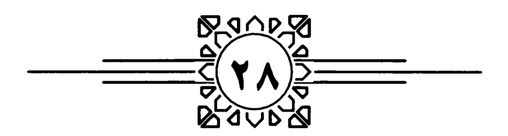
(٣) شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٤).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٥٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَبَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا أبي العباس ابن تيمية قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا تَرَكْتُهَا عَقِيبَ كُلِّ صَلَاةٍ»[١].



(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٢٩٤).



حفظ الله وكفايته لمَنْ قرأ الآيتين الآخِرَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

✿ عن أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(١).

الشَّرح

أفاد هذا الحديث فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة حيث أخبر النبي ﷺ أن من قرأهما في ليلة كفتاه.

قوله: (مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ الآخِرَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ):

والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة هما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٤ رقم ٤٠٠٨)، (٦/ ١٨٨ رقم ٥٠٠٨)، ٥٠٠٩)، (٦/ ١٩٤ رقم ٥٠٤٠)، (٦/ ١٩٦ رقم ٥٠٥١)، ومسلم في صحيحه (٢/ ١٩٨ رقم ٨٠٧، ٨٠٨)، وأبو داود (١/ ٥٢٨ رقم ١٣٩٧)، والترمذي (٥/ ١٠ رقم ٢٨٨١)، والدارمي في مسنده (٢/ ٩٣٣ رقم ١٥٢٨)، (٤/ ٢١٣٣ رقم ٣٤٣١)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٥ رقم ١٣٦٨)، (٢/ ٣٨٦ رقم ١٣٦٩) وغيرهم.

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

وقوله: (كَفَتَاهُ):

للعلماء في معنى كفتاه أقوال[١]:

١ ـ كفتاه من قيام الليل أو مما ينبغي له أن يقرأه من القرآن في يومه وليلته.

أَيْ: أَجْزَأَتَا عَنْهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْقُرْآنِ، وَقِيلَ أَجْزَأَتَا عَنْهُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مُطْلَقًا سَوَاءٌ كَانَ دَاخِلَ الصَّلَاةِ أَمْ خَارِجَهَا.

قال في فيض الباري: «واعلم أنه ما مِنْ مسلم إلَّا وعليه حقٌّ أن يَقْرَأَ شيئًا من القرآن كلَّ ليلةٍ، سواء كان حافظًا للقرآن أو لا، فمن قَرَأَ هاتين الآيتين كَفَتَاهُ عن ذلك الحقِّ»[٢].

وبهذا بوب عدد من أصحاب كتب الحديث، ومن أمثلة ذلك:

فبَوّب عليه البخاري بقوله: [بَابٌ: فِي كَمْ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ، وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠]][٣].

وبوّب ابن خزيمة على الحديث بقوله: [(٤٩٠) بَابُ ذِكْرِ أَقَلِّ مَا يُجْزِئُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ][٤].

وبوّب ابن حبان بقوله: [ذِكْرُ الِاكْتِفَاءِ لِقَائِمِ اللَّيْلِ بِقِرَاءَةِ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِذَا عَجزَ عَنْ غَيْرِهِ][٥].

---

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١٩٨)، والمعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٦١)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٧٥)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ١٥٣)، (٦/ ٩٢) وشرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٦٤٨)، وفتح الباري، لابن حجر (٩/ ٥٦) والتنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٤٧٨).

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري (٥/ ٢٦).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٩٦).

(٤) صحيح ابن خزيمة (١/ ٥٦٦).

(٥) صحيح ابن حبان (٦/ ٣١٣).

وبوّب ابن ماجه عليه بقوله: [١٨٣ ـ بَابُ مَا جَاءَ فِيمَا يُرْجَى أَنْ يَكْفِيَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ][١]

٢ ـ دفعتا عن قارئهما شر الإنس والجن وكفتاه مَا يكون من الْآفَات تِلْكَ اللَّيْلَة.

٣ ـ كفتاه لكثرة ما يحصل له بقراءتهما من الثواب والأجر وإجابة الدعاء الذي ذكر فيها؛ لأنهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله، والدعاء بخير الدنيا والآخرة.

٤ ـ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَجْزَأَتَاهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِقَادِ لِمَا اشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ إِجْمَالًا.

٥ ـ ولا مانع من حمل المعنى على جميع ما ذُكر.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيَحْتَمِلُ مِنَ الجميع».

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلَى هَذَا فَأَقُولُ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ وَاللهُ أَعْلَمُ».

وخصت خواتيم سورة البقرة بذلك: لما تضمنته من الثناء على النبي ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم بجميل انقيادهم لمقتضاها، وتسليمهم لمعناها، وابتهالهم إلى الله، ورجوعهم إليه في جميع أمورهم؛ ولما حصل فيها من إجابة دعواتهم، بعد أن علموها، فخُفِّف عنهم، وغُفر لهم، ونُصروا، وفيها غير ذلك مما يطول تتبعه»[٢]

وسبق بيان أنّ هذه الأمة أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وقال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

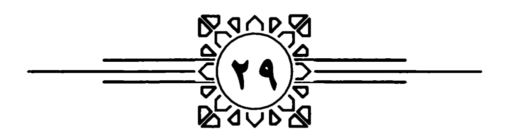
(١) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٢/ ٣٨٥).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٣٤).

مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا ذُخِرَتْ لَهُ وَكُنِزَتْ لَهُ فَلَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ آيِ الْقُرْآنِ مُنَزَّلٌ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَا هُوَ بِاللَّفْظِ وَمَا هُوَ بِالْمَعْنَى وَهَذِهِ الْآيَاتُ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَيْضًا مَا لَمْ يُؤْتَهُ غَيْرُهُ إِلَّا أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ خُصُوصِيَّةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ وَضْعُ الْإِصْرِ الَّذِي كَانَ عَلَى الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فَنَاسَبَ ذِكْرَهَا مِنْ الْخَصَائِصِ»[١].



(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٢/ ١١٤).



فضل السّور السَّبْعِ الْأُوَلِ مِنَ الْقُرْآنِ

۞ عن عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَهُوَ حَبْرٌ**»(١).

الشَّرْح

هذا الحديث فيه فضيلة سور معينة من القرآن وهي: السبع الطوال وسيأتي ذكرها، والترغيب في تدبرهن والعمل بهن.

قوله ﷺ: (مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ):

معنى: **(مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ)** قيل: حفظها، وعمل بها، وجعل تلاوتها وِرْدًا له.

وقيل معنى أَخْذِهَا: المواظبة على تلاوتها، والتدبر في معانيها، والعمل بما فيها(٢).

---

(١) أخرجه أحمد ط الرسالة (٤٠/ ٥٠١ رقم ٢٤٤٤٣)، (٤١/ ٧٨ رقم ٢٤٥٣١)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٣٣٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٦٦ رقم ٦٩)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٤٠٧ رقم ١٣٧٧، ١٣٧٨)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٨٥ رقم ٢٣٠٥)، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.
تنبيه: هذا الحديث ورد بلفظ: «**مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ خَيْرٌ**» أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٤ رقم ٢٠٧٨)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٦٦ رقم ٦٩) والله أعلم.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٥٧)، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٩٠)، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (٤/ ٢٥٥)

والمقصود بـ (السَّبْعَ الْأُوَلَ):

هن السبع الطِّوَال، وهي[1]:

١ ـ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءُ وَالْمَائِدَةُ وَالْأَنْعَامُ وَالْأَعْرَافُ ويونس.

٢ ـ أو هي في قول: الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالْمَائِدَةُ، وَالْأَنْعَامُ، وَالْأَعْرَافُ، وَالْأَنْفَالُ، وَالتَّوْبَةُ مَعًا.

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «المقصود من (السبع الأول): السور السبع الطوال من أول القرآن، وهي مع عدد آياتها:

١ ـ البقرة (٢٨٦).

٢ ـ آل عمران (٢٠٠).

٣ ـ النساء (١٧٦).

٤ ـ المائدة (١٢٠).

٥ ـ الأنعام (١٦٥).

٦ ـ الأعراف (٢٠٦).

٧ ـ التوبة (١٢٩)».

قوله ﷺ: (فَهُوَ حَبْرٌ):

يقال: بفتح الحاء وكسْرِها، هو العالِمُ من علماء أهل الدين، وجمعهُ أحبار، ذِمِّيًا كانَ أو مُسلِمًا، بعد أَن يكون من أهل الْكتاب.

---

(١) تفسير الطبري ت شاكر (١٧/ ١٣٠)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٣٧٣)، ومفاتيح الغيب (١٩/ ١٦٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٦)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٣٣)، والتيسير في أحاديث التفسير (٣/ ٢٩٧)، والتنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٥٦)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٨٥).

والتحبير: التحسين؛ ولذلك سمي العالم: حبرًا، لما عنده من العلوم، وتحسينه القول في ذلك[١].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَبْر: العالم الذي ربط نفسه عن الدنيا، وشَغَلَها بالعلم والحكمة»[٢].

«وَسَأَلَ عبد الله بن سَلام كَعْبًا عَن الحَبْرِ؟ فَقَالَ: هُوَ الرجل الصَّالح»[٣].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ فضل السبع الأُوَل من القرآن والترغيب في حفظهن وتلاوتهن والعمل بهن.

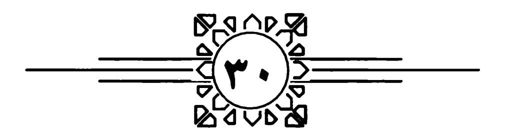
٢ ـ اشتمال السبع الأُوَل من القرآن على العِلْم ولهذا سمّى النبي ﷺ من قام بحقهن من العلم والعمل: عَالِمًا.



(١) العين (٣/ ٢١٨)، والصِّحَاح (٢/ ٦٢٠)، وتصحيح الفصيح وشرحه (ص٣١٨).

(٢) غريب الحديث، للخطابي (٣/ ٢٠٦).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٣١٥).



مِنْ فضائل سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ؛ اشتمالها عَلَى اسْمِ اللّهِ الْأَعْظَم

✿ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ»[1].

الشَّرْح

أسماء الله تعالى كلها عظيمة، لكن منها ما هو أعظمها، من دعا به استجيب له، وهذا الحديث أحد الأحاديث الواردة في الدلالة على اسم الله الأعظم، وفيه فضل هذه السور الثلاث لاشتمالها على هذا الاسم الأعظم لله تعالى.

قوله ﷺ: (إِنَّ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ):

(الْأَعْظَمَ) صفة للاسم وأسماؤه تعالى عظيمة كلها شريفة جليلة وخص بعضها بالأعظمية إما لشرف معناه أو ما يدل عليه ولأمر استأثر الله بعلمه.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ٥٠٥، ٥٠٦ رقم ١٨٦٧، ١٨٧٢، ١٨٧٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٧ رقم ٣٨٥٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ١٦٢ رقم ١٧٦، ١٧٧)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٨٣ رقم ٧٧٥٨)، (٨/ ٢٣٧ رقم٧٩٢٥)، وفي الأوسط (٨/ ١٩٢ رقم ٨٣٧١)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٧١ رقم ٧٤٦).

وقد اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم اختلافًا كثيرًا وتعددت أقوالهم:

١ ـ أوصلها بعضهم إلى أربعة عشر قولًا:

قال الحافظ ابن حجر: «وَجُمْلَةُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَوْلًا: . . .» ثم ذكرها(١).

٢ ـ وأوصلها بعضهم إلى عشرين قولًا:

كما ذكرها السيوطي في «الدُّرُّ الْمُنَظَّمُ فِي الِاسْمِ الْأَعْظَمِ»(٢).

٣ ـ وأوصلها بعضهم إلى أربعين قولًا:

كما ذكرها الشوكاني فقال: «وَقد اخْتلف فِي تعْيين الِاسْم الْأَعْظَم على نَحْو أَرْبَعِينَ قولًا . . .»(٣).

وما يتعلق بشرح الحديث من هذه الأسماء هو قوله: «الحيُّ القيّومُ» فقد رجح عدد من العلماء أنه الاسم الأعظم كما قَالَ القاسم ـ وهو الرَّاوِي عَنْ أبي أمامة ـ: «الْتَمَسْتُهُ فِيهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ».

وهو الاسم المشترك في الثلاث السور كما قال راوي الحديث: «فَالْتَمَسْتُهَا فَوَجَدْتُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ [الآية: ٢٥٥]: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وَفِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾، وَفِي سُورَةِ طَهَ [الآية: ١١١]: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**واسمه الحي القيوم** يجمع أصل معاني الأسماء والصفات كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع ولهذا

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٢٢٤).

(٢) مطبوع ضمن الحاوي، للفتاوي للسيوطي (١/ ٤٧٢).

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص٨٣).

كان النبي ﷺ يقوله إذا اجتهد في الدعاء»[(١)].

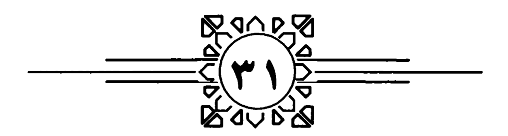
ورجح ابن القيم هذا الاسم فقال: «وَفِي تَأْثِيرِ قَوْلِهِ: **(يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)** فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ مُنَاسَبَةٌ بَدِيعَةٌ؛ فَإِنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا، وَصِفَةُ الْقَيُّومِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، **وَلِهَذَا كَانَ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى: هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ**، ...»[(٢)].

وقال ابن القيم في كتاب آخر: «وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ شَدِيدَ اللَّهَجِ بِهَا جِدًّا، وَقَالَ لِي يَوْمًا: **لِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ وَهُمَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ**...»[(٣)].

فنسأل الله الحي القيوم أن يعلمنا ويوفقنا للاهتداء لما يحبه ويرضاه.



(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٠٧).
(٢) زاد المعاد (٤/ ١٨٧).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٤٦).



ثواب مَنْ حفظ آيات من سورة الكهف وعصمته من الدجال

✿ عن أَبِي الدَّرْدَاءِ يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»(١).

الشَّرْح

هذا الحديث يبيّن فضل سورة الكهف وعصمة من يحفظ آيات منها كما ورد بالحديث من أعظم فتنة، فـ «لَمْ تُوجَدْ فِتْنَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَتِهِ، وَمَا أَرْسَلَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا حَذَّرَهُ قَوْمَهُ، وَكَانَ السَّلَفُ يُعَلِّمُونَ حَدِيثَهُ الْأَوْلَادَ فِي الْمَكَاتِبِ»(٢).

قوله ﷺ: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ):

هل يكفي الحفظ حتى ولو لم يقرأها أم لا بد من الحفظ والقراءة؟

ورد في صحيح مسلم وغيره ما يبين المقصود ففي حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ١٩٩ رقم ٨٠٩)، وأبو داود (٤/ ٢٠٠ رقم ٤٣٢٣) وغيرهما.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٤٦٥).

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: **«غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ...»** الحديث.

وفي رواية أبي داود: **«فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ بِفَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ...»** الحديث[١].

فقد أوضح في هذا الحديث أن المراد ليس حفظها فقط؛ بل لا بدّ من قراءتها في وجهه، وأن من فعل ذلك يُجيره الله تعالى **«مِنْ فِتْنَتِهِ»**، فلا يضرّه شيء مما معه من التلبيسات والتمويهات، والدّجَل.

قوله ﷺ: (عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ).

الدجال: الْكذَّاب، وَقد اشْتهر عِنْد الْإِطْلَاق بِالَّذِي يخرج فِي آخر الزَّمَان.

والعصمة: الْمَنْع، «والمراد بالعصمة: ألا يذهب دينه وإن ذهبت دنياه أو سفك دمه، ويحتمل صيانة ذلك عن الإصابة وأنه يعصم عن كل ذلك»[٢].

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أسبابًا اجتهدوا فيها لبيان سبب عصمة من يحفظ آيات سورة الكهف من المسيح الدجال، ومن ذلك:

* قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما في قصة أصحاب الكهف من

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٥١ رقم ٢٩٣٧)، وأبو داود (رقم ٤٣٢١).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٢٠٥).

العجب والآيات، فمن علمهما لا يستغرب أمر الدَّجال، ولا فتن به، أو يكون هذا من خصائص الله لمن حفظ ذلك، فقد روى: «من حفظ سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه». وعلى هذا تنزل الرواية الأخرى (من آخر سورة الكهف [آية: ١٠٢])، وقيل: لما في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ وما بعدها؛ فيه من التنبيه على أمر الدجال والتنبيه على المفتونين والأخسرين أعمالًا، وفى آخر الآيات من ذكر التوحيد وأن لا يشرك بالله أحدًا»[١].

* **وقال الطيبي**: «قيل: سبب ذلك لما فيها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال.

أقول: ويمكن أن يقال: إن أولئك الفتية كما عصموا من ذلك الجبار، كذلك يعصم الله القارئ من الجبارين. اللَّهُمَّ اعصمنا منهم وبدد شملهم»[٢].

* وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «اخْتَلَفَ الْمُتَأَوِّلُونَ فِي سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لِمَا فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالآيَاتِ فَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا لَمْ يَسْتَغْرِبْ أَمْرَ الدَّجَّالِ وَلَمْ يَهُلْهُ ذَلِكَ فَلَمْ يُفْتَتَنْ بِهِ وَقِيلَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى لِيُنْذِرَ بَأْسًا شديدًا من لدنه تَمَسُّكًا بِتَخْصِيصِ الْبَأْسِ بِالشِّدَّةِ وَاللَّدُنِّيَّةِ وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَا يَكُونُ مِنَ الدَّجَّالِ مِنْ دَعْوَى الْإِلَهِيَّةِ واستيلائه وعظم فتنته ولذلك عظم أَمْرَهُ وَحَذَّرَ عَنْهُ وَتَعَوَّذَ مِنْ فِتْنَتِهِ فَيَكُونُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَتَدَبَّرَهَا وَوَقَفَ عَلَى مَعْنَاهَا حَذِرَهُ فَأَمِنَ مِنْهُ.

وَقِيلَ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ السُّورَةِ كُلِّهَا فَقَدْ رُوِيَ مَنْ حَفِظَ سُورَةَ الْكَهْفِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الدَّجَّالُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ وَعَلَى هَذَا يَجْتَمِعُ رِوَايَةُ مَنْ رَوَى

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٧٧).

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٥/ ١٦٤٨).

أَوَّلَ سُورَةِ الْكَهْفِ مَعَ مَنْ رَوَى مِنْ آخِرِهَا وَيَكُونُ ذِكْرُ الْعَشْرِ عَلَى جِهَةِ الِاسْتِدْرَاجِ فِي حِفْظِهَا كُلِّهَا»[(١)].

* **قول ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأما تَخْصِيص ذَلِك بِعشر آيَات من أول الْكَهْف فَالَّذِي يظْهر لنا فِيهَا من الْحِكْمَة:

أَن قَوْله تَعَالَى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الْكَهْف: ٢] يهون بَأْس الدَّجَّال.

وَقَوله: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الْكَهْف: ٢، ٣] يهون الصَّبْر على فتن الدَّجَّال بِمَا يظْهر من نعيمه وعذابه.

وَقَوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ [الْكَهْف: ٤] وَقَوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الْكَهْف: ٥] فذم من يَدعِي لَهُ ولدًا، وَلَا مثل لَهُ، فَكيف يَدعِي الإلهية من هُوَ مثل لِلْخلقِ.

فقد تضَمَّنت الْآيَات مَا يصرف فتْنَة الدَّجَّال، إِلَى قَوْله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الْكَهْف: ١٠] فَهَؤُلَاءِ قوم ابتلوا فصبروا وسألوا صَلَاح أُمُورهم فأصلحت، وَهَذَا تَعْلِيم لكل مدعُو إِلَى الشّرك.

وَمن روى «من آخر الْكَهْف»[(٢)] فَإِن فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ [الْكَهْف: ١٠٠] مَا يهون مَا يظهره من ناره.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/ ٤٣٩)، وانظر: عون المعبود (١١/ ٣٠٤).

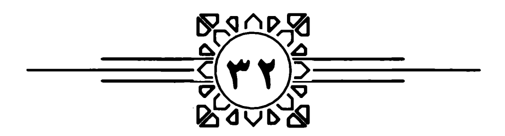
(٢) هناك رواية لمسلم رَحِمَهُ اللَّهُ عقب الرواية السابقة ساق إسنادها وقال: «... بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ شُعْبَةُ: مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، وَقَالَ هَمَّامٌ: مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ، كَمَا قَالَ هِشَامٌ» اهـ. ورواية أول الكهف أرجح. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٢٥).

وَقَوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ [الْكَهْف: ١٠١] يُنَبه على التغطية على قُلُوب تَابِعِيّ الدَّجَّال، فَإِنَّهُ يَكْفِي فِي تَكْذِيبه أَنه جسم مؤلف يقبل التجزؤ، وَفِي الْآيَات: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الْكَهْف: ١١٠] والمؤلِّف للأشياء لَا يكون مؤلَّفًا، ثمَّ هُوَ مَحْمُول على حمَار، وخالق الْأَشْيَاء يكون حَامِلًا لَهَا لَا مَحْمُولًا، ثمَّ هُوَ معيب بالعور، والصانع لَا يطرقه عيب، إِلَى غير ذَلِك مِمَّا تتضمنه تِلْكَ الْآيَات مِمَّا يدل على كذب الدَّجَّال والكشف عَن فتنته»[1]

والله أعلم، ونعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال.



(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١٦٥).



فضل سورة الفتح واستبشار النبي ﷺ بنزولها

✿ عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، **قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ أَمَامَ النَّاسِ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، قَالَ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾»**[1]

الشَّرح

قوله: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ):

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: «وَهَذَا السّفر كَانَ لَيْلًا منصرفه ﷺ من الْحُدَيْبِيَة لَا أعلم بَين أهل الْعلم فِي ذَلِك خلافًا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٢٦، ١٣٤، ١٨٩ رقم ٤١٧٧، ٤٨٣٣، ٥٠١٢)، ومالك في الموطأ (٢/ ٢٨٤ رقم ٦٩٣/ ٢٢٤)، والترمذي في جامعه (٥/ ٣٠٤ رقم ٣٢٦٢)، وأحمد في مسنده ط الرسالة (١/ ٣٣٦ رقم ٢٠٩) وغيرهم.

(٢) ذكره في عمدة القاري (١٩/ ١٧٥).

قوله: (فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ شَيْءٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ):

وذلك لاشتغاله ﷺ بالوحي.

قوله: (ثُمَّ سَأَلَهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَلَمْ يُجِبْهُ):

لعله ظن أنه عليه الصلاة والسلام لم يسمعه فلذا كرر السؤال(١).

قوله: (فَقَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَّرْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ):

أي: فقدتك أمك يا عمر! ألححتَ عليه أو راجعته وأتيته بما يكره من سؤالك!

دعا على نفسه بسبب ما وقع منه من الإلحاح؛ خشية أن يكون أغضب رسول الله ﷺ.

ولعله لم يرد الدعاء على نفسه حقيقة وانما هي من الألفاظ التي تقال عند الغضب من غير قصد معناها.

قوله: (وَخَشِيتُ أَنْ يُنْزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي):

فِيهِ: مَا كَانَ عُمَرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى وَالْوَجَلِ لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ عَاصِيًا بِسُؤَالِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثُ مرات كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ؛ إِذِ الْمَعْهُودُ أَنَّ سُكُوتَ الْمَرْءِ عَنِ الْجَوَابِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ عَالِمٌ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى كَرَاهِيَةِ السُّؤَالِ.

وَفِيهِ: مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ السَّائِلِ يعز عليه وهذا موجود في طابع النَّاسِ وَلِهَذَا أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عُمَرَ يُؤْنِسُهُ وَيُبَشِّرُهُ(٢).

---

(١) إرشاد الساري، لشرح صحيح البخاري (٦/ ٣٥٢).

(٢) انظر: التمهيد (٣/ ٢٦٦).

قوله ﷺ: (لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ، هذِهِ اللَّيْلَةَ، سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾ [الفتح: ١]):

إنما كانت هذه السورة بهذه المنزلة بسبب ما بشرته ﷺ من المغفرة والفتح.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ أَنَّ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَوْ أُعْطِيَ ذَلِكَ وَذَلِكَ تَحْقِيرٌ مِنْهُ ﷺ لِلدُّنْيَا وَتَعْظِيمٌ لِلْآخِرَةِ **وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُحَقِّرَ** مَا حَقَّرَ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا وَيَزْهَدَ فِيهَا وَيُعَظِّمَ مَا عَظَّمَ اللهُ من الآخرة ويرغب فيها وإذا كان غفران الذُّنُوبِ لِلْإِنْسَانِ خَيْرًا مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يُكَفَّرْ عَنْهُ إِلَّا الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ قَطُّ كَبِيرَةً لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ، لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ فَعَلَى هَذَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ خَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِأَنَّهَا تُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ»(١).

قوله: (﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝﴾):

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ مُنْصَرَفِهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ والْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هُنَا **الْحُدَيْبِيَةُ** لِأَنَّهَا كَانَتْ مَبْدَأَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِمَا تَرَتَّبَ عَلَى الصُّلْحِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ الْأَمْنُ وَرَفْعُ الْحَرْبِ وَتَمَكُّنِ مَنْ يَخْشَى الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْوُصُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ كَمَا وَقَعَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَغَيْرِهِمَا ثُمَّ تَبِعَتِ الْأَسْبَابُ بَعْضُهَا بَعْضًا إِلَى أَنْ كَمُلَ الْفَتْحِ.

وَقد ذكر بن إِسْحَاقَ فِي الْمَغَازِي عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: لَمْ يَكُنْ فِي

---

(١) التمهيد (٣/٢٦٦).

الْإِسْلَام فَتْحٌ قَبْلَ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ أعظم مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ الْكُفْرُ حَيْثُ الْقِتَالِ فَلَمَّا أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا بَادَرَ إِلَى الدُّخُولِ فِيهِ فَلَقَدْ دَخَلَ فِي تِلْكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ[١].

فلهذا سُمِّيَتْ قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَةِ فَتْحًا؛ فَإِنَّ الْفَتْحَ فِي اللُّغَةِ فَتْحُ الْمُغْلَقِ وَالصُّلْحُ كَانَ مُغْلَقًا حَتَّى فَتَحَهُ اللهُ وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ فَتْحِهِ صَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْبَيْتِ **وَكَانَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ضَيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ وَفِي الصُّورَةِ الْبَاطِنَةِ عِزًّا لَهُمْ** فَإِنَّ النَّاسَ لِأَجْلِ الْأَمْنِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُمُ اخْتَلَطَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ وَأَسْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآنَ وَنَاظَرُوهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ جَهْرَةً آمِنِينَ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُونَ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا خُفْيَةً وَظَهَرَ مَنْ كَانَ يُخْفِي إِسْلَامَهُ فَذَلَّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْعِزَّةَ وَأُقْهِرُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْغَلَبَةَ[٢].

• من فوائد الحديث[٣]:

١ ـ شدة سرور رسول الله ﷺ بسورة الفتح؛ وإنما سَرَّ رسول الله ﷺ ظهور الحق وعلو الإسلام وكون الفتح، فإن الله ﷻ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإن الله ﷻ ينصره نصرًا عزيزًا، وليس هذا النصر مقصورًا على زمانه وحده؛ بل هو إلى يوم القيامة، كلما نصر الله الحق الذي جاء به كان ذلك نصرًا له.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٤٤١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٥/ ٣٤٨).

(٣) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ١٨٧)، والاستذكار (٢/ ٤٩٦)، والتمهيد (٣/ ٢٦٦)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٤/ ٧٩)، وشرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٢٥٠)، وشرح الزرقاني على الموطأ (٢/ ١٨).

٢ ـ **وَفِيهِ**: أَنَّ الْعَالَمَ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لا يُرِيدُ الْجَوَابَ فِيهِ إِنْ سَكَتَ وَلَا يُجِيبُ بِـ «نَعَمْ» وَلَا بِـ «لَا» وَرُبَّ كَلَامٍ جَوَابُهُ السُّكُوتُ.

٣ ـ **وَفِيهِ**: مِنْ الْأَدَبِ أَنَّ سُكُوتَ الْعَالِمِ عَنِ الْجَوَابِ يُوجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ تَرْكَ الْإِلْحَاحِ عَلَيْهِ.

٤ ـ **وَفِيهِ**: النَّدَمُ عَلَى إِيذَاءِ الْعَالِمِ وَالْإِلْحَاحِ عَلَيْهِ خَوْفَ غَضَبِهِ وَحِرْمَانِ فَائِدَتِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وقلّ ما أَغْضَبَ أَحَدٌ عَالِمًا إِلَّا حُرِمَ الْفَائِدَةَ مِنْهُ!

٥ ـ **وَفِيهِ**: مَا كان عليه عمر ﷺ من التَّقْوَى وَخَوْفِ اللهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ عَاصِيًا لِسُؤَالِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مرات كل ذلك لا يُجِيبُهُ وَالْمَعْلُومُ أَنَّ سُكُوتَ الْعَالِمِ عَنِ الْجَوَابِ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى كَرَاهَةِ ذَلِكَ السُّؤَالِ.

وَفِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ السَّائِلِ يَعِزُّ عَلَيْهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي طَبَائِعِ النَّاسِ وَلِهَذَا أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ يُؤْنِسُهُ.

٦ ـ **وَفِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى** مَنْزِلَةِ عُمَرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَوْضِعِهِ مِنْ قَلْبِهِ.

٧ ـ **وَفِيهِ**: أَنَّ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لَوْ أُعْطِيَ ذَلِكَ وذلك تحقير منه ﷺ بِالدُّنْيَا وَتَعْظِيمٌ لِلْآخِرَةِ؛ وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُحَقِّرَ مَا حَقَّرَ اللهُ وَيُعَظِّمَ مَا عَظَّمَ اللهُ.

وَإِذَا كَانَ غُفْرَانُ الذُّنُوبِ كَمَا وُصِفَ فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يُكَفِّرْ عَنْهُ إِلَّا الصَّغَائِرُ لِأَنَّهُ لَا يَأْتِي كَبِيرَةً أَبَدًا لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ

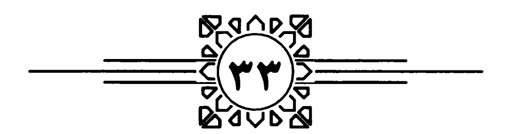
٨ ـ **وَفِيهِ**: أَنَّ نُزُولَ الْقُرْآنِ كَانَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ مِنْ حَضَرٍ وَسَفَرٍ وَلَيْلٍ وَنَهَارٍ.

فائدة:

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي إِدْخَالِ مَالِكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هَذَا الْحَدِيثَ فِي بَابِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ التَّعْرِيفَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَمَا يَعْرِضُ لَهُ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً»[١].



(١) الاستذكار (٢/٤٩٧).



فضل قراءة تبارك الذي بيده الملك وشفاعتها لأصحابها

✿ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»(١)

الشَّرح

قوله: (إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ):

في هذا الإبهام أولًا ثم التفسير، تعظيم لشأنها، وجذب لانتباه السامعين حتى يعتنوا بها.

قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي سُوقِ الْكَلَامِ عَلَى الْإِبْهَامِ ثُمَّ التَّفْسِيرُ تَفْخِيمٌ لِلسُّورَةِ، إِذْ لَوْ قِيلَ: إِنَّ سُورَةَ تَبَارَكَ شَفَعَتْ لَمْ تَكُنْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (١/ ٥٢٩ رقم ١٤٠٠)، والترمذي في جامعه (٥/ ١٧ رقم ٢٨٩١) وابن ماجه في سننه (٤/ ٧٠٣ رقم ٣٧٨٦)، وأحمد في مسنده (١٣/ ٣٥٣ رقم ٧٩٧٥)، (١٤/ ٢٨ رقم ٨٢٧٦)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٦٩ رقم ٧٨٨)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٦٥ رقم ٢٠٨٣)، (٢/ ٤٩٧ رقم ٣٨٥٩)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٢٦٢ رقم ١٠٤٧٨)، (١٠/ ٣٠٩ رقم ١١٥٤٨)، وألفاظهم متقاربة وبعضهم يزيد على بعض، وحسنه الترمذي، ثم الألباني، وصححه الحاكم وابن الملقن في البدر المنير (٣/ ٥٦١).

(٢) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٨١).

قوله: (ثَلَاثُونَ آيَةً):

قال العَيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي ثلاثون آية، وثلاثمائة وخمس وثلاثون كلمة، وألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفًا، وهي سورة مكية»[(١)].

(شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ).

يحتمل أنه لحفظه إياها أو لقراءته لها أو لتوسله بها.

وشفاعتها، يحتمل أنها على الحقيقة وأنه تعالى جعل لها آلة النطق كما في حديث: «الزهراوين» أنهما تجادلان عن صاحبهما، ويحتمل أن ملائكتها أذن لهم في الشفاعة فشفعوا »[(٢)].

قوله: (﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾):

أي: هي سورة تبارك، «وخُصَّتْ بذلك لافتتاحها بخلق الحياة وختمها بالماء الذي هو سبب الحياة فأنتجت الشفاعة التي هي سبب الحياة الكاملة للمشفوع له، وأيضًا افتتاحها بعظائم عظمته ثم بباهر قدرته وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم وماله عليهم من النعيم، ثم ختمها بما اختصها به من بين سائر السور وهو الإنعام بالماء المعين الذي هو سبب الحياة المناسب لذلك لكه أثمر المعافاة عن سوء القطيعة بتشفيع هذه السورة في قارئها وجعلها مانعة عنه منجية له»[(٣)].

وعَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَا أُطْرِفُكَ بِحَدِيثٍ تَفْرَحُ بِهِ؟! قَالَ الرَّجُلُ: بَلَى يَا أَبَا عَبَّاسٍ رَحِمَكَ اللهُ، قَالَ: اقْرَأْ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وَاحْفَظْهَا وَعَلِّمْهَا أَهْلَكَ وَجَمِيعَ وَلَدِكَ وَصِبْيَانَ بَيْتِكَ

---

(١) شرح أبي داود للعيني (٥/٣٠٦)

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/٦١٨).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/٤٩٧).

وَجِيرَانَكَ؛ فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ، وَهِيَ الْمُجَادِلَةُ تُجَادِلُ وَتُخَاصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِئِهَا وَتَطْلُبُ لَهُ إِلَى رَبِّهَا أَنْ يُنْجِيَهُ مِنَ النَّارِ إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِهِ، وَيُنْجِي اللهُ بِهَا صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[١].

• **من فوائد الحديث:**

١ ـ **بيان فضيلة** سورة الملك، قال الصنعاني: «والأحاديث في فضائلها كثيرة قال بعض العلماء أما أحاديث دفعها عذاب القبر فمتواتر»[٢].

٢ ـ **فيه:** تَحْرِيضٌ لِكُلِّ مسلم أَنْ يُوَاظِبَ عَلَى قِرَاءَتِهَا لما فيها من فضل عظيم.

٣ ـ **فيه:** إثبات شفاعة القرآن لأهله.

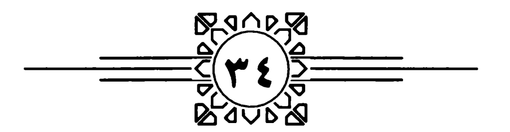
٤ ـ **فيه:** التمهيد في الكلام عند ذكر الأمور المهمة لجذب انتباه السامع وليكون أوقع في نفسه.



---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي (ص٢٠٦ رقم ٦٠٣).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/٦١٩).



ومن فضائل سورة تبارك أنها تنجي أصحابها من عذاب القبر

✿ **عن** عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» رواه أبو الشيخ[(١)].

الشَّرح

هذا حديث آخر في فضل سورة تبارك، والترغيب في حفظها وتلاوتها والعمل بما فيها والإيمان بأخبارها واعتقاد ما فيها من إيمانيات.

وقد سبق في فضلها قوله ﷺ: «**إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**» رواه ابن ماجه[(٢)]

قوله: (سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ):

أي: الكافة له عن قارئها إذا مات ووضع في قبره[(٣)].

وقد «خُصَّتْ بذلك لافتتاحها بخلق الحياة وختمها بالماء الذي هو سبب الحياة فأنتجت الشفاعة التي هي سبب الحياة الكاملة للمشفوع له،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (٤/ ١١)، والشجري في الأمالي الخميسية (١/ ١٥٩ رقم ٥٦٩)، وحسنه ابن حجر، وصححه الألباني.

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (٤/ ٧٠٣ رقم ٣٧٨٦)، وحسنه الترمذي، ثم الألباني، وصححه الحاكم.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٤٢٠).

وأيضًا افتتاحها بعظائم عظمته ثم بباهر قدرته وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم وماله عليهم من النعيم، ثم ختمها بما اختصها به من بين سائر السور وهو الإنعام بالماء المعين الذي هو سبب الحياة المناسب لذلك لكه أثمر المعافاة عن سوء القطيعة بتشفيع هذه السورة في قارئها وجعلها مانعة عنه منجية له»[١].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَبَارَكَ، وَهُوَ قَائِمٌ، فَذَكَّرَنَا بِأَيَّامِ اللهِ»[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكُنَّا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُسَمِّيهَا الْمَانِعَةَ، وَإِنَّهَا فِي كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ مَنْ قَرَأَ بِهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ»[٣].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ بيان فضيلة سورة الملك، قال الصنعاني: «والأحاديث في فضائلها كثيرة قال بعض العلماء أما أحاديث دفعها عذاب القبر فمتواتر»[٤].

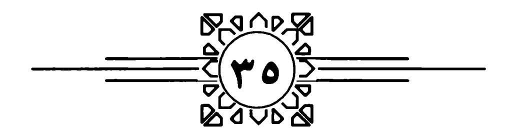
٢ ـ **فيه**: تَحْرِيضٌ لِكُلِّ مسلم أَنْ يُوَاظِبَ عَلَى قِرَاءَتِهَا لما فيها من فضل عظيم.

٣ ـ **فيه**: إثبات شفاعة القرآن لأهله.

٤ ـ **فيه**: إثبات عَذَابِ الْقَبْرِ.

---

(١) دليل الفالحين، لطرق رياض الصالحين (٦/ ٤٩٧).
(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ٢٠٣ رقم ١١١١) وصححه الألباني.
(٣) السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٢٦٢ رقم ١٠٤٧٩)
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٦١٩).



قراءة سورة الكافرون براءة من الشرك وسورة الإخلاص توجب الجنة

۞ عن مُهَاجِرٍ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ شَيْخٍ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَمَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، قَالَ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ**»، قَالَ: وَإِذَا آخَرُ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**» وفي رواية: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ غُفِرَ لَهُ**»(١)

الشَّرح

هذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لسورة «الكافرون» وسورة «الإخلاص»، وفيه بيان ثواب قارئهما، وأنّ معتقده صحيح، ففيهما مقتضى شهادة التوحيد وهي ألا يعبد إلا الله الواحد الأحد والكفر بكل معبودٍ سواه.

قوله: (فَمَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، قَالَ: «**أَمَّا هَذَا** فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ»):

لأن الله تعالى أمر رسولَهُ في هذه السورة أن يجيبَ الكفار بأني لا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٧/ ٣٦٤٢ رقم ١٦٨٧٣)، (٧/ ٣٦٤٦ رقم ١٦٨٨٥)، (١٠/ ٥٥٠٧ رقم ٢٣٦٦٥)، (١٠/ ٥٥١١ رقم ٢٣٦٧٧)، والدارمي في مسنده (٤/ ٢١٥٥ رقم ٣٤٦٩) وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٩٧).

أعبدُ ما تعبدون، فهذا براءةٌ من الشِّركِ، فمن قرأ هذه السورة عن اعتقاد صحيح، فقد بَرِئ من الشرك[(١)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا قال النبي ﷺ في هذه السورة: «هي براءة من الشرك» ولهذا كان يقرأها كثيرًا مع ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغيرهما **لأن فيهما التوحيد، هذه فيها توحيد العمل والإرادة، وتلك فيها توحيد القول والعلم**، وإذا قال في تلك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فأمره أن يقول ما هو خبر عن الله بأنه الأحد الصمد، وقال في هذه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ فأمره أن يقول أنه لا يعبد ما يعبدون من دون الله إذ لا يعبد إلا الله وحده»[(٢)]

وقد ورد أيضا في فضل سورة الكافرون: استحباب قراءتها عند النوم: فعَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي.

قَالَ: «**اقْرَأْ**: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[(٣)]

قوله: (وَإِذَا آخَرُ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»):

فِيهِ فَضِيلَةٌ بَيِّنَةٌ وَجَلِيلَةٌ فِي قِرَاءَةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَمُمْكِنٌ

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٩٤).

(٢) الصفدية (٢/ ٣١٥) وانظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ٢٩١).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٩/ ٢٩٥ رقم ١٠٥٦٩)، (٩/ ٢٩٥ رقم ١٠٥٧٠)، (٩/ ٢٩٦ رقم ١٠٥٧٢)، (١٠/ ٣٤٨ رقم ١١٦٤٥)، وأبو داود في سننه (٤/ ٤٧٣ رقم ٥٠٥٥)، والترمذي في جامعه (٥/ ٤٠٨ رقم ٣٤٠٣)، والدارمي في مسنده (٤/ ٢١٥٥ رقم ٣٤٧٠)، وأحمد في مسنده (١٠/ ٥٦٩٦ رقم ٢٤٣٣٠)، (١١/ ٥٧٣٣ رقم ٢٤٤١٩)، (١١/ ٥٧٣٤ رقم ٢٤٤٢٤)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٧ رقم ٣٩٨٢)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٩ رقم ٦٠٥).

أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ بِتِلَاوَتِهَا مَعَ أَعْمَالِ الْبِرِّ غَيْرِهَا وَمُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَاصَّةً لَهَا[١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام بديع عن منزلة السورتين الواردتين في هذا الحديث: «**وأما المسألة السادسة**: وهي اشتمال هذه السورة على النفي المحض فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة **فإنها سورة براءة من الشرك** كما جاء في وصفها أنها براءة من الشرك **فمقصودها الأعظم**: هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين؛ ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقًا للبراءة المطلوبة هذا مع أنها متضمنة:

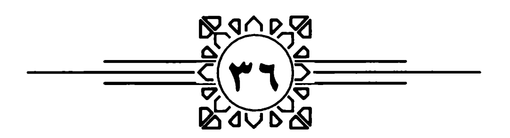
للإثبات صريحًا فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ براءة محضة ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣﴾ إثبات أن له معبودًا يعبده وأنتم بريئون من عبادته!

فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧﴾ [الزخرف: ٢٧] وطابقت قول فئة الموحدين: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله تعالى»[٢]



(١) الاستذكار (٢/ ٥١٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٣٨).



فضل سورتي الإخلاص والكافرون واستحباب قراءتهما في سنّة الفجر

✿ عن عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**نِعْمَ السُّورَتَانِ هُمَا، يُقْرَأُ بِهِمَا فِي رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ**: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾»[1].

الشَّرح

في هذا الحديث بيان فضيلة سورة «الإخلاص» وسورة «الكافرون»، والحث على القراءة بهما في ركعتي الفجر.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن، وورد في فضائل سورة «الكافرون» أحاديث أيضًا تبيّن أنها براءة من الشرك وأنها تعدل ربع القرآن، إلى غير ذلك من الفضائل الثابتة وقد سبق بعض ذلك.

وقوله ﷺ: (**نِعْمَ السُّورَتَانِ هُمَا**):

وذلك لاشتمال هاتين السورتين على توحيد الله والبراءة من كل

---

(١) أخرجه ابن ماجه ت الأرنؤوط (٢/ ٢٣١ رقم ١١٥٠)، وأحمد (٤٣/ ١٤٨ رقم ٢٦٠٢٢) ـ بزيادة سنة الظهر ـ، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٢١٤ رقم ٢٤٦١) والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٥٥ رقم ٢٣٢٣).

وقال الحافظ في فتح الباري (٣/ ٤٧): «بإسناد قوي»، وصححه الألباني في صفة الصلاة (ص١١٢).

معبود سواه وهذه حقيقة التوحيد ومقتضى شهادة «لا إله إلا الله»، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحكمة جمعهما توحيد العلم وتوحيد العمل وتوحيد المعرفة وتوحيد الاعتقاد؛ **فقل هو الله أحد متضمنة** للتوحيد العلمي والاعتقادي لاشتمالها على ما يجب إثباته له تعالى من الأحدية والصمدية المثبتان كل كمال ومنه نفي النقائص ومنها الوالد والولد وإثبات الكفؤ وما يجوز وما يستحيل وتضمنت أكمل كمال ونفى كل شبه له وهذه هي مجامع التوحيد ومن ثم عدلت ثلث القرآن؛ إذ هو:

إما إنشاء: وهو إما أمر أو نهي أو إباحة وهذا ثلث هام.

وخبر: وهو إما عن الخلق وهذا ثلث ثانٍ.

أو عن الخالق وصفاته وأحكامه وهذا ثلث ثالث مندرج في سورة الإخلاص؛ فلذا عدلت ثلث القرآن وخلصت قارئها من الشرك العلمي كما خلصته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] من الشرك العملي»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد بيان ما في هاتين السورتين من التوحيد: «**ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسورة** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في سُنّة الفجر وسُنّة المغرب فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص قد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما وهما:

توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد وأنه إله أحد صمد لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل ولم يكن له كفوًا أحد فيكون له نظير.

ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٢/ ١٤١).

فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلًا وفرعًا ونظيرًا **فهذا توحيد العلم والاعتقاد.**

والثاني: توحيد القصد والإرادة وهو أن لا يعبد إلا إياه فلا يشرك به في عبادته سواه؛ بل يكون وحده هو المعبود.

وسورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ مشتملة على هذا التوحيد.

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر ويختتم بهما في سنة المغرب، وفي السنن أنه كان يوتر بهما فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار»[١].

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ استحباب قراءة السورتين المذكورتين فيهما مع الفاتحة عملًا بالحديث المذكور وبذلك قال الجمهور[٢].

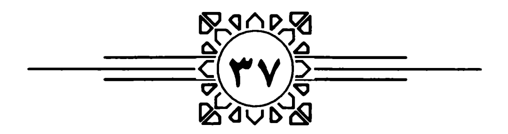
٢ ـ فيه: **فضيلة سورة «الكافرون»** لما تحمله السورة من البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمره بالإخلاص لله وحده فقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض.

٣ ـ فيه: **فضيلة سورة** «الإخلاص» لما احتوته من أنواع التوحيد الذي هو غاية الخلق.



(١) بدائع الفوائد (١/ ١٣٨).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٤٧).



تَفَضُّلُ اللّهِ عَلَى قَارِئِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِأَجْرِ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ

✿ عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ يُرَدِّدُهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[(١)].

الشَّرح

هذا الحديث أحد الأحاديث الواردة في فضائل سورة الإخلاص، وهي كثيرة ومتنوعة، والسورة كما قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: «هِيَ سُورَةٌ خَالِصَةٌ للهِ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[(٢)].

وفضل سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ وأنها تعدل ثلث القرآن متواتر عند أهل العلم بالحديث وحفّاظه.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٩ رقم ٥٠١٣)، (٨/ ١٣١ رقم ٦٦٤٣)، (٩/ ١١٤ رقم ٧٣٧٤)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٩٠ رقم ٧٠٨/ ٢٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٧١ رقم ٧٩١)، والنسائي في المجتبى (١/ ٢١٨ رقم ٩٩٤)، وأبو داود في سننه (١/ ٥٤٦ رقم ١٤٦١) وغيرهم.

(٢) الاستذكار (٢/ ٥١١).

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَنَّ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ في فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وأنها تعدل ثلث القرآن من أصح الأحاديث وأشهرها حتى قال طائفة من الحفاظ كالدارقطني: لم يصح عن النبي ﷺ في فضل سورة من القرآن أكثر مما صح عنه في فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»[٢]

قوله: (أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يُرَدِّدُهَا):

وفي رواية البخاري: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ يُرَدِّدُهَا»:

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «قتادة بن النعمان هو أخو أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لِأُمِّهِ... وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ قَتَادَةَ هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَيَتَقَالُّهَا عَلَى مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ»[٣].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الْقَارِئُ هُوَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ أَخْرَجَ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: بَاتَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ كُلِّهِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا الْحَدِيثَ. وَالَّذِي سَمِعَهُ لَعَلَّه أَبُو سعيد رَاوِي الْحَدِيثِ لِأَنَّهُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ وَكَانَا مُتَجَاوِرَيْنِ وَبِذَلِكَ جزم بن عَبْدِ الْبَرِّ فَكَأَنَّهُ أَبْهَمَ نَفْسَهُ وَأَخَاهُ»[٤].

قوله: (فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا):

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٩/ ٢٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠٦).

(٣) التمهيد (١٩/ ٢٢٨).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٥٩).

الْغَادِي: هُوَ الرَّجُلُ الذي كان يقرأ في الليل، ذهب إليه ﷺ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ تَهَجَّدَ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا؛ يَعْنِي: يَرَاهَا قَلِيلًا مِنْ الْقُرْآنِ وَيَتَأَسَّفُ إِذْ لَا يُحْسِنُ غَيْرَهَا لِيَتَهَجَّدَ بِهِ.

وَالْمرَاد اسْتِقْلَال قِرَاءَته لَا التنقيص.

والمراد: أن ذلك الرجل تعجب من اقتصاره على تكرار هذه السورة القصيرة مع وجود سور طوال، فكان في نظره أن الأولى له أن يستكثر من قراءتها، لا أن يقتصر على تكرار هذه السورة القصيرة.

وقيل: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْغَادِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[(١)]

قوله: (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ):

وهذا تعظيم لهذه السورة مع قصرها ووجازتها؛ لنفي ما توهمه الرجل القارئ من أنها قليلة بالنسبة لطوال القرآن؛ فذكر ﷺ فضلها، وأقسم على ذلك للتأكيد.

(إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ):

أي: في الفضيلة والأجر... وإنما فضّلت هذه السُورة في فضل ثوابها؛ إذ هي سورة الإخلاص ليس فيها شيء من العمل، إنما هي التوحيد والتفريد لا غير[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث

---

(١) انظر: المنتقى شرح الموطإ (١/ ٣٥٣)، المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٤٢١)، وفتح الباري (٩/ ٥٩)، وعمدة القاري (٢٠/ ٣٣)، وذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٢/ ٥٥٣).

(٢) أعلام الحديث (٤/ ٢٢٨٣).

القرآن لأنها أخلصت للخبر عن الرب تعالى وصفاته دون خلقه وأحكامه وثوابه وعقابه»[١].

وقد اختلف أهل العلم في المعنى المراد بقوله: (إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **وأما توجيه ذلك**: فقد قالت طائفة من أهل العلم: إن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلث توحيد وثلث قصص وثلث أمر ونهي. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ هي صفة الرحمن ونسبه وهي متضمنة ثلث القرآن؛ وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى والكلام:

إما إنشاء وإما إخبار، فالإنشاء هو الأمر والنهي وما يتبع ذلك كالإباحة ونحوها وهو الإحكام.

والإخبار: إما إخبار عن الخالق وإما إخبار عن المخلوق، فالإخبار عن الخالق هو التوحيد وما يتضمنه من أسماء الله وصفاته والإخبار عن المخلوق هو القصص وهو الخبر عما كان وعما يكون ويدخل فيه الخبر عن الأنبياء وأمَمِهم ومَنْ كَذَّبهم والإخبار عن الجنة والنار والثواب والعقاب. قالوا: فبهذا الاعتبار تكون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن لما فيها من التوحيد الذي هو ثلث معاني القرآن»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾: مُتَضَمِّنَةٌ لِتَوْحِيدِ الِاعْتِقَادِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الْأَحَدِيَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الْمُشَارَكَةِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَالصَّمَدِيَّةِ الْمُثْبِتَةِ لَهُ جَمِيعَ

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٠٧).

صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَنَفْيِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الصَّمَدِيَّةِ، وَغِنَاهُ وَأَحَدِيَّتِهِ، وَنَفْيِ الْكُفْءِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّنْظِيرِ.

فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ، وَنَفْيَ كُلِّ نَقْصٍ عَنْهُ، وَنَفْيَ إِثْبَاتِ شَبِيهٍ أَوْ مَثِيلٍ لَهُ فِي كَمَالِهِ، وَنَفْيَ مُطْلَقِ الشَّرِيكِ عَنْهُ، وَهَذِهِ الْأُصُولُ هِيَ مَجَامِعُ التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ الِاعْتِقَادِيِّ الَّذِي يُبَايِنُ صَاحِبُهُ جَمِيعَ فِرَقِ الضَّلَالِ وَالشِّرْكِ؛

وَلِذَلِكَ كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ مَدَارُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ، وَالْإِنْشَاءُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ، وَنَهْيٌ، وَإِبَاحَةٌ.

وَالْخَبَرُ نَوْعَانِ:

خَبَرٌ عَنِ الْخَالِقِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَخَبَرٌ عَنْ خَلْقِهِ.

فَأَخْلَصَتْ سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الْخَبَرَ عَنْهُ، وَعَنْ أَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، فَعَدَلَتْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَخَلَّصَتْ قَارِئَهَا الْمُؤْمِنَ بِهَا مِنَ الشِّرْكِ الْعِلْمِيِّ، كَمَا خَلَّصَتْ سُورَةُ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾ مِنَ الشِّرْكِ الْعَمَلِيِّ الْإِرَادِيِّ الْقَصْدِيِّ.

وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ قَبْلَ الْعَمَلِ وَهُوَ إِمَامُهُ وَقَائِدُهُ وَسَائِقُهُ، وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ وَمُنْزِلُهُ مَنَازِلَهُ، كَانَتْ سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ وَالْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ تَكَادُ تَبْلُغُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ»[1].

وجمع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجمل ما قيل في معنى ذلك، فقال:

قَوْلُهُ: (ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

حَمَلَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَلَى ظَاهِرِهِ فَقَالَ: هِيَ ثُلُثٌ بِاعْتِبَارِ مَعَانِي

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٣٠٦).

الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ أَحْكَامٌ وَأَخْبَارٌ وَتَوْحِيدٌ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هِيَ عَلَى الْقِسْمِ الثَّالِثِ فَكَانَتْ ثُلُثًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ. **وَيُسْتَأْنَسُ لِهَذَا** بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: «جَزَّأَ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾** جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ».

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنَانِ جَمِيعَ أَصْنَافِ الْكَمَالِ لَمْ يُوجَدَا فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ وَهُمَا:

الْأَحَدُ الصَّمَدُ لِأَنَّهُمَا يَدُلَّانِ عَلَى أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: **أَنَّ الْأَحَدَ** يُشْعِرُ بِوُجُودِهِ الْخَاصِّ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ،

وَالصَّمَدُ: يُشْعِرُ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِأَنَّهُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ سُؤْدُدُهُ.

فَكَانَ مَرْجِعُ الطَّلَبِ مِنْهُ وَإِلَيْهِ وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ إِلَّا لِمَنْ حَازَ جَمِيعَ خِصَالِ الْكَمَالِ وَذَلِكَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا للهِ تَعَالَى.

فَلَمَّا اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَمام الْمعرفَة بِصِفَات الذَّات وصفات الْفِعْل ثناءً. اهـ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَوْجِيهَ الِاعْتِقَادِ وَصِدْقَ الْمَعْرِفَةِ وَمَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ للهِ مِنَ الْأَحَدِيَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الشَّرِكَةِ وَالصَّمَدِيَّةِ الْمُثْبِتَةِ لَهُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ نَقْصٌ وَنَفْيَ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ الْمُقَرِّرِ

---

(١) فات الحافظ رَحِمَهُ اللهُ أنّ الحديث في صحيح مسلم (١/٥٥٦ رقم ٨١١)
ولفظه: **«إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾** جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ».

لِكَمَالِ الْمَعْنَى وَنَفْيَ الْكُفْءِ الْمُتَضَمِّنَ لِنَفْيِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ **وَهَذِهِ مجامع التَّوْحِيدِ الِاعْتِقَادِيِّ وَلِذَلِكَ عَادَلَتْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ** لِأَنَّ الْقُرْآنَ خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ وَالْإِنْشَاءُ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِبَاحَةٌ وَالْخَبَرُ خَبَرٌ عَنِ الْخَالِقِ وَخَبَرٌ عَنْ خَلْقِهِ فَأَخْلَصَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ الْخَبَرَ عَنِ اللهِ وَخَلَّصَتْ قَارِئَهَا مِنَ الشِّرْكِ الِاعْتِقَادِيِّ. **وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الْمِثْلِيَّةَ عَلَى تَحْصِيلِ الثَّوَابِ: فَقَالَ مَعْنَى كَوْنِهَا ثُلُثَ الْقُرْآنِ**: أَنَّ ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا يَحْصُلُ لِلْقَارِئِ مِثْلَ ثَوَابِ مَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

وَقِيلَ: مِثْلُهُ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ.

وَهِيَ دَعْوَى بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَيُؤَيِّدُ الْإِطْلَاقَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْأَخِيرِ وَقَالَ فِيهِ: **«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»**.

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«احْشُدُوا فَسَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»**.

فَخَرَجَ فَقَرَأَ **«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»** ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»**. . .

وَإِذَا حُمِلَ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ: فَهَلْ ذَلِكَ لِثُلُثٍ مِنَ الْقُرْآنِ مُعَيَّنٍ أَوْ لِأَيِ ثُلُثٍ فُرِضَ مِنْهُ؟ فِيهِ نَظَرٌ، وَيَلْزَمُ عَلَى الثَّانِي أَن من قَرَأَهَا ثَلَاثًا كَانَ كمن قرأ ختمة كَامِلَةً.

وَقِيلَ: **الْمُرَادُ** مَنْ عَمِلَ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ من الْإِخْلَاص والتوحيد كَانَ كمن قرأ ثلث الْقُرْآنِ. **وَادَّعَى بَعْضُهُمْ** أَنَّ قَوْلَهُ: **«تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»** يَخْتَصُّ بِصَاحِبِ الْوَاقِعَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا رَدَّدَهَا فِي ليلته كَانَ كمن قرأ ثلث الْقُرْآنِ بِغَيْرِ تَرْدِيدٍ.

قَالَ الْقَابِسِيُّ: وَلَعَلَّ الرَّجُلَ الَّذِي جَرَى لَهُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحْفَظُ

غَيْرَهَا فَلِذَلِكَ اسْتَقَلَّ عَمَلَهُ فَقَالَ لَهُ الشَّارِعُ ذَلِكَ تَرْغِيبًا لَهُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ وَإِنْ قَلَّ.

وَقَالَ ابن عَبْدِ الْبَرِّ: مَنْ لَمْ يَتَأَوَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ أَخْلَصُ مِمَّنْ أَجَابَ فِيهِ بِالرَّأْيِ»[1]

وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا تعدل ثلث الْقُرْآن لِأَنَّهُ على ثَلَاثَة أَنْوَاع: أَحْكَام وقصص وصفات، وَسورَة الْإِخْلَاص فِي الصِّفَات»[2]

• من فوائد الحديث:

١ ـ فيه إثبات فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ **وأنها تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ** مع قلة حروفها وعدم المشقة في حفظها وتلاوتها.

وقال الكرماني: «فإن قلت فكيف يكون معادلًا للثلث ولا شك أن المشقة في قراءة ثلث القرآن أكثر من قراءتها بكثير والأجر بقدر النصب قلت قراءة السورة لها ثواب قراءة الثلث فقط وأما قراءة الثلث فلها عشر أمثالها»[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بقي أن يُقال: فإذا كانت تعدل ثلث القرآن مع قلة حروفها كان للرجل أن يكتفي بها عن سائر القرآن؟!**

فيقال في جواب ذلك: إن النبي ﷺ قال: **(إنها تعدل ثلث القرآن)** وعدل الشيء ـ بالفتح ـ يقال على ما ليس من جنسه كما قال تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] فجعل الصيام عدل كفارة وهما جنسان.

ولا ريب أن الثواب أنواع مختلفة في الجنة فإن كل ما ينتفع به

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٩/ ٦١)

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/ ٨٣).

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٣/ ١٠٣).

العبد ويلتذ به من مأكول ومشروب ومنكوح ومشموم هو من الثواب وأعلاه النظر إلى وجه الله تعالى وإذا كانت أحوال الدنيا لاختلاف منافعها يحتاج إليها كلها وإن كان بعضها يعدل ما هو أكبر منه في الصورة كما أن ألف دينار تعدل من الفضة والطعام والثياب وغير ذلك ما هو أكبر منها، ثم من ملك الذهب فقد ملك ما يعدل مقدار ألف دينار من ذلك وإن كان لا يستغني بذلك عن سائر أنواع المال التي ينتفع بها؛ لأن المساواة وقعت في القدر لا في النوع والصفة فكذلك ثواب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وإن كان يعدل ثواب ثلث القرآن في القدر فلا يجب أن يكون مثله في النوع والصفة.

وأما سائر القرآن ففيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ما يحتاج إليه العباد فلهذا كان الناس محتاجين لسائر القرآن ومنتفعين به منفعة لا تغني عنها هذه السورة وإن كانت تعدل ثلث القرآن...»[(١)]

٢ ـ في الحديث دلالة ظاهرة على تفاضل كلام الله تعالى وصفاته، وهو المأثور عن السلف وعلى أئمة الفقهاء وغيرهم، ونصوص الكتاب والسُّنَّة تؤيد ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بعض القرآن أفضل من بعض وهذا قول الأكثرين من الخلف والسلف...»[(٢)]

٣ ـ في الحديث: إثبات اليد لله تعالى على ما يليق بجلاله.

٤ ـ ومن فوائد الحديث، ما قاله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن بعض صفاته وأفعاله سبحانه أفضل من بعض فإن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٢٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٢٠٩)، تفسير سورة الإخلاص، لابن تيمية (ص٣١) وما بعدها.

وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق ولذلك كلامه سبحانه هو صفته ومعلوم أن كلامه الذي يثني على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم ولهذا كانت سورة الإخلاص أفضل من سورة تبت **وكانت تعدل ثلث القرآن دونها** وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن ولا تصغ إلى قول من غلظ حجابه أن الصفات قديمة والقديم لا يتفاضل فإن الأدلة السمعية والعقلية تبطل قوله»(١).

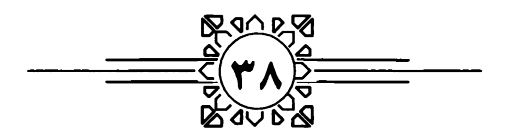
فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَنَا مُصَنَّفٌ مَبْسُوطٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَآخَرُ فِي بَيَانِ أَنَّهَا تُعَادِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»(٢).

وقد طبع هذا المصنف في رسالة بعنوان: (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن).



(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص٢٧٢).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٤/ ٤٠٧).



فضل المعوذتين وكفايتهما لمن تعوّذ بهما

✿ عن عُقبةَ بن عامر قال: بينا أنا أسيرُ معَ رسول الله ﷺ بين الجُحفَة والأبواء، إذ غَشِيَتْنا رِيح وظُلمة شديدة، فجعل رسولُ الله ﷺ يتعوذ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ويقول: **«يا عُقبةُ، تَعَوَّذْ بهما، فما تَعَوذَ مُتَعَوِّذٌ بمثلهما»**

قال: وسمعتُه يؤمُّنا بهما في الصلاة[1].

الشَرح

قوله: (**بين الجُحفَة والأبواء**)[2]:

الجُحفة، ـ بضم الجيم ـ قرية جامعة بين مكة والمدينة، وسُمّيت الجُحفة، لأن السْيل اجتحفها وحمل أهلها.

وهي ميقات أهل مصر والشام

والأبْواء: قريةٌ من ناحية المدينة، سُميت بذلك للوباء الذي بها.

وقيل: سمّيت بذلك لأن السيول تتبوأها أي: تَحلّ بها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٩١ رقم ١٤٦٣)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص٣٢٧ رقم ٩٩٩) والطبراني في الدعاء (ص٣٠٣ رقم ٩٧٨)، وقد جمع الحافظ ابن كثير في تفسيره ت سلامة (٨/ ٥٣٣) طرق هذا الحديث وقال: «فَهَذِهِ طُرُقٌ عَنْ عُقْبَةَ كَالْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ، تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ فِي الْحَدِيثِ».اهـ.

(٢) شرح أبي داود للعيني (٥/ ٣٨٠).

قوله: (**إذ غَشِيَتْنا**)؛ أي: جاءتنا ريح وظلمة شديدة سترتنا.

قوله: (**فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ إلخ**):

أي: شرع ﷺ وسلم يتحصن بسورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾، وسورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

قوله: (**يا عُقبةُ، تَعَوَّذْ بهما، فما تَعوذَ مُتَعَوِّذٌ بمثلهما**):

أي: تحصن بهاتين السورتين لأنه ما تحصن بمثلهما؛ بَلْ هُمَا أَفْضَلُ التَّعَاوِيذِ؛ **واختصتا بذلك؛ لاشتمالها على الجوامع في المستعاذ به والمستعاذ منه.**

أما الأول: فلأن الافتتاح برب الفلق مؤذن بطلب فيض رباني يزيل كل ظلمه في الاعتقاد أو العمل؛ لأن الفلق الصبح وهو وقت فيضان الأنوار ونزول البركات وقسم الأرزاق وذلك مناسب للمستعاذ به.

وأما الثاني: فلأنه في السورة الأولى ابتدأ في ذكر المستعاذ منه بالعام وهو شر كل مخلوق حي أو جماد فيه شر في البدن أو المال أو الدنيا أو الدين كإحراق النار ثم بالخاص اعتناء به لخفاء أمره إذ يلحق الإنسان من حيث لا يعلم لأن الظلمة التي تعقب ذلك تكون سببًا لصعوبة التحرز من الشر المسبب عنها.

ثم ذكر نفث الساحرات في عقدهن الموجب لسريان شرهن في الروح على أبلغ وجه وإخفائه فهو أدق من الأول.

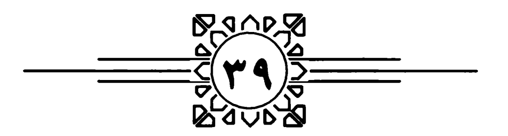
ثم ذكر شر الحاسد في وقت التهاب نار حسده؛ لأنه حينئذ يسعى في إيصال أدق المكايد المذهبة للنفس والدين فهو أدق وأعظم من الثاني.

وفي السورة الثانية: خص شر الموسوس في الصدور من الجِنَّةِ والناس لأن شره حينئذ يعادل تلك الشرور بأسرها؛ لأنها إذا كانت في صدر المستعيذ ينشأ عنها كل كفر وبدعة وضلالة.

ومن زاد التأكيد والمبالغة في جانب المستعاذ به إيذانًا بعظمة المستعاذ منه وكأنه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بمن رباهم بنعمه وملكهم بقهره وقوته وهو إلههم ومعبودهم الذي يستعيذون به ممن سواه ويعتقدون أن لا ملجأ لهم إلا إليه: وختم به لأنه مختص به تعالى بخلاف الأولين فإنهما قد يطلقان على غيره[١].



(١) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود (٨/ ١١٧).



بيان أنه لا شيء أَتَمُّ فِي بَابِ التَّعَوُّذِ لِدَفْعِ السُّوءِ وَغَيْـرِهِ من المعوذتين

✿ عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللهِ سُورَةَ هُودٍ، وَسُورَةَ يُوسُفَ.

فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»[1].

الشَّرح

قوله: (أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ يُوسُفَ):

كأنّه كان يطلب قراءة هاتين السورتين لدفع السوء عنه[2]

قوله: (لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾):

(لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ)؛ أَيْ: أَتَمُّ فِي بَابِ التَّعَوُّذِ لِدَفْعِ السُّوءِ وَغَيْرِهِ.

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبي (٢/ ١٥٨ رقم ٩٥٣)، وفي السنن الكبرى (١/ ٤٩٠ رقم ١٠٢٧)، (٧/ ١٩٦ رقم ٧٧٩٠)، والدارمي (٤/ ٢١٦٦ رقم ٣٤٨٢) ـ بزيادة فيه ـ، وأحمد (٢٨/ ٥٧٥، ٦٥٦ رقم ١٧٣٤١، ٧٤٥٥)، وابن حبان (٣/ ٧٤ رقم ٧٩٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٦٣٩ رقم ٦٩٦)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٥/ ١٦٧١).

(عِنْدَ اللهِ)؛ أَيْ: فِي سُوَرِ كَلَامِهِ أَوْ فِي حُكْمِهِ بِمُقْتَضَى قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ(١).

والمراد: أنه لا تقرأ بشيء أعظم في باب الاستعاذة من هاتين السورتين، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا**»(٢).

فـ «لَيْسَ تَعْوِيذٌ مِثْلَهُمَا، بَلْ هُمَا أَفْضَلُ التَّعَاوِيذِ»(٣)

قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ: «وَالْمُرَادُ التَّحْرِيضُ عَلَى التَّعَوُّذِ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»(٤)

- **من فوائد الحديث:**

١ ـ الحث على الاستعاذة بالمعوذتين وأنهما أبلغ شيء في دفع السوء عن الإنسان.



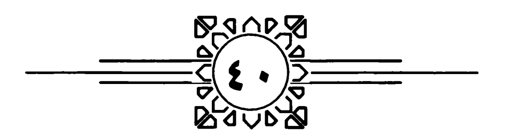
---

(١) مرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٨٦).

(٢) سنن النسائي (٨/ ٢٥٣ رقم ٥٤٣٨)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٨٨٦).

(٤) شرح المصابيح، لابن الملك (٣/ ٤٧).



الحث على الاجتماع على تلاوة وتدارس القرآن وثواب ذلك

✿ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[١].

الشَّرح

هذا الحديث فيه بيان جملة من خصال الخير والتي بها يُتَعاهَد القلب وتصلح أحواله وفيه حث على الاجتماع على كتاب الله تعالى وبيان عوائد وفوائد هذا مما يرغب به كل مؤمن ومؤمنة.

قوله: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩) وغيره.

كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ):

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَقَدْ تَكَاثَرَتِ النُّصُوصُ بِهَذَا الْمَعْنَى، كَقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فَطَرَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عِبَادَهُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ النَّظِيرِ حُكْمُ نَظِيرِهِ، وَحُكْمَ الشَّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ، وَعَلَى إِنْكَارِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ، وَعَلَى إِنْكَارِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَيْنِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَزَاءُ مُمَاثِلًا لِلْعَمَلِ مِنْ جِنْسِهِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ:

فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ، وَمَنْ سَمَحَ سَمَحَ اللهُ لَهُ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَمَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَوْعَى أَوْعَى عَلَيْهِ، وَمَنْ عَفَا عَنْ حَقِّهِ عَفَا اللهُ لَهُ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ، وَمَنِ اسْتَقْصَى اسْتَقْصَى اللهُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا شَرْعُ اللهِ وَقَدَرُهُ وَوَحْيُهُ وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ كُلُّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَصْلِ، وَهُوَ إِلْحَاقُ النَّظِيرِ بِالنَّظِيرِ، وَاعْتِبَارُ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ»[٢]

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/ ٢٨٥).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ١٥٠).

وَالْكُرْبَةُ: هِيَ الشِّدَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْكَرْبِ، وَتَنْفِيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنْهَا، مَأْخُوذٌ مِنْ تَنْفِيسِ الْخِنَاقِ، كَأَنَّهُ يُرْخَى لَهُ الْخِنَاقُ حَتَّى يَأْخُذَ نَفَسًا، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الْكُرْبَةَ، فَتُفْرَجُ عَنْهُ كُرْبَتُهُ، وَيَزُولُ هَمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ.

قوله: (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ):

سُلُوكُ الطَّرِيقِ لِالْتِمَاسِ الْعِلْمِ يَدْخُلُ فِيهِ:

سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْحَقِيقِيُّ، وَهُوَ الْمَشْيُ بِالْأَقْدَامِ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ.

وَيَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى حُصُولِ الْعِلْمِ، مِثْلُ حِفْظِهِ، وَدَارِسَتِهِ، وَمُذَاكَرَتِهِ، وَمُطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ، وَالتَّفَهُّمِ لَهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْعِلْمِ.

وَقَوْلُهُ: (سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ):

قَدْ يُرَادُ بِذَلِكَ: أَنَّ اللهَ يُسَهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَسَلَكَ طَرِيقَهُ، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ طَرِيقٌ مُوَصِّلٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانُ عَلَيْهِ؟.

وَقَدْ يُرَادُ أَيْضًا: أَنَّ اللهَ يُيَسِّرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا قَصَدَ بِطَلَبِهِ وَجْهَ اللهِ الِانْتِفَاعَ بِهِ وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهُ، فَيَكُونُ سَبَبًا لِهِدَايَتِهِ وَلِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ.

وَقَدْ يُيَسِّرُ اللهُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ عُلُومًا أُخَرَ يَنْتَفِعُ بِهَا، وَتَكُونُ مُوَصِّلَةً لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا قِيلَ: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا: تَسْهِيلُ طَرِيقِ الْجَنَّةِ الْحِسِّيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ـ وَهُوَ الصِّرَاطُ ـ وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ، فَيُيَسِّرُ ذَلِكَ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ لِلِانْتِفَاعِ بِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يَدُلُّ عَلَى اللهِ مِنْ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ، وَلَمْ يَعْرُجْ عَنْهُ، وَصَلَ إِلَى اللهِ وَإِلَى الْجَنَّةِ مِنْ أَقْرَبِ الطُّرُقِ وَأَسْهَلِهَا فَسَهُلَتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ الْمُوَصِّلَةُ إِلَى الْجَنَّةِ كُلُّهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ[١].

قوله: (مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ):

هذا يشمل أي جماعة، «فكأنه ﷺ يقول: أي قوم قعدوا يذكرون الله، كان لهم ما ذكر كله؛ فلم يشترط ﷺ ها هنا في (قوم) قومًا علماء، أو قومًا لا ذنوب لهم؛ أو قومًا فقهاء؛ ولا زُهّادًا ولا ذوي مقامات»[٢].

قال الصنعاني: «في الحديث فضيلة الاجتماع في بيوت الله لتلاوة كتابه، وأنّه أفضل من تلاوة الإنسان وحده وأفضل من تلاوة الجماعة في البيوت»[٣].

ولو اجتمعوا في دراسة أو جامعة ونحو ذلك هل يحصل لهم الثواب المذكور في الحديث؟

ذكر النووي وغيره أنه يحصل لهم الثواب فقال: «وَيُلْحَقُ بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيلِ هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة وَرِبَاطٍ وَنَحْوِهِمَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَالتَّقْيِيدُ فِي الْحَدِيثِ خَرَجَ عَلَى الْغَالِبِ لَا سِيَّمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فَلَا يَكُونَ لَهُ مَفْهُومٌ يُعْمَلُ بِهِ»[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/ ٢٩٨).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة (٨/ ٥٠)، وشرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص١٢٠).
(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ (٩/ ٣٢٦).
(٤) شرح مسلم (١٧/ ٢٢).

وقال ملا علي القاري: «والعدول عن المساجد إلى بيوت الله [لم يقل ما اجتمع قوم في مسجد] ليشمل كل ما يُبنى تقربا إلى الله تعالى من المساجد والمدارس والرُّبَط»(١).

قوله: (يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ):

أي: يشتركون في قراءة بعضهم على بعض ويتعهدونه خوف النسيان(٢).

قال النووي رحمه الله: «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ لِفَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا اجْتَمَعُوا أَمَرُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ وَالْبَاقُونَ يَسْتَمِعُونَ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: ذَكِّرْنَا رَبَّنَا فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ.

(وَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ يَقْرَأُ فَقَالَ لَهُ: **«مَرَرْت بِك الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ فَجَعَلْت أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِك»**، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْت أَنَّك تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْته لَك تَحْبِيرًا)؛ أَيْ: لَحَسَّنْته لَك تَحْسِينًا؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»**.

وَقَالَ ﷺ لِابْنِ مَسْعُودٍ: **«اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»**.

فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْك وَعَلَيْك أُنْزِلَ؟

فَقَالَ: **«إنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»**.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٨٧).
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣٨).
(٣) شرح مسلم (١٧/ ٢١).

فَقَرَأْت عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى انْتَهَيْت إلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١].

قَالَ: «**حَسْبُك فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ مِنْ الْبُكَاءِ**».

وَمِثْلُ هَذَا السَّمَاعِ هُوَ سَمَاعُ النَّبِيِّينَ وَأَتْبَاعِهِمْ كَمَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

وَقَالَ فِي أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وَمَدَحَ سُبْحَانَهُ أَهْلَ هَذَا السَّمَاعِ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَاقْشِعْرَارِ الْجِلْدِ وَدَمْعِ الْعَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]»(١).

قوله: (وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ):

«**يَتَدَارَسُونَهُ**: شَامِل لِجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّق بِالْقُرْآنِ مِنْ التَّعَلُّم وَالتَّعْلِيم وَالتَّفْسِير وَالِاسْتِكْشَاف عَنْ دَقَائِق مَعَانِيه»(٢).

قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «التَّدَارُسُ قِرَاءَةُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَصْحِيحًا لِأَلْفَاظِهِ أَوْ كَشْفًا لِمَعَانِيهِ كَذَا قَالَهُ ابْنُ الْمَلَكِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالتَّدَارُسِ الْمُدَارَسَةَ الْمُتَعَارَفَةَ بِأَنْ يَقْرَأَ بَعْضُهُمْ عُشْرًا مَثَلًا وَبَعْضُهُمْ عُشْرًا آخَرَ، وَهَكَذَا فَيَكُونُ أَخَصَّ مِنَ التِّلَاوَةِ أَوْ مُقَابِلًا لَهَا، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ شَامِلٌ

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢٩٦ ـ ٢٧٠).

(٢) حاشية سنن ابن ماجة، للسندي (١/١٠٠).

لِجَمِيعِ مَا يُنَاطُ بِالْقُرْآنِ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ»(١).

قوله: (إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ):

هِيَ مَا يَحْصُلُ بِهِ صَفَاءُ الْقَلْبِ بِنُورِ الْقُرْآنِ وَذَهَابُ ظُلْمَتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ، وهي الطمأنينة التي يلقيها الله في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار، وتثبت القلب عند المخاوف، فلا تزلزله الفتن، ولا تؤثر فيه المحن؛ بل يزداد إيمانًا ويقينًا، وانشراحًا(٢).

وهذا من بركة الاجتماع على كتاب الله تعالى حيث العلاج النفسي، والصفاء الروحي، والانشراح الصدري بأكمل معانيه، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

قوله: (وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ):

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يستعمل غَشِيَ إلا في شيء شمل المغشي من جميع أجزائه، قال الشيخ شهاب الدين بن فرج: والمعنى في هذا فيما أرى أن غشيان الرحمة يكون بحيث يستوعب كل ذنب تقدم إن شاء الله تعالى»(٣).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ تحيط بهؤلاء المجتمعين على كتاب الله، لقوله: **(وَغشيتهم الرَّحمَةُ)**؛ أي: أحاطت بهم من كل جانب كالغشاء، وهو الغطاء يكون على الإنسان»(٤).

وفوائد هذا الحديث ظاهرة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) مرقاة المفاتيح (١/ ٢٨٧).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٧/ ٢١)، وحاشية سنن ابن ماجه، للسندي (١/ ١٠٠)، وشرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (ص٣٥٨).

(٣) شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص١٢١).

(٤) شرح الأربعين النووية (ص٣٦٥).

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــوع رقم الصفحة

الموضـــــوع	رقم الصفحة

دار ابن الجوزي 8428146

